

إلهي ما أروعك

إن هذا الكتاب يجب أن يبدأ بذلك الإعلان الواضح أن الله "موجود". إن هذا الإعلان ليس شيئاً يمكن أن نبرهنه، وهو لا يحتاج لأن نقضي الوقت في أن نثبت مدى صحته. إن كل شخص يعرف هذه الحقيقة، فالإنسان بداخله ذلك الوعي. إنه شيء يستطيع أن يدركه بقلبه. هذا الشيء باق منذ ذلك الوقت الذي كان فيه الإنسان على صلة بالله ومطيعاً لوصاياه، وما زال لدى الإنسان الوعي بتلك الوصايا والتي تظهر في قدرته على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ؛ فليس من المعقول أن يكون لدينا ذلك الوعي بالوصايا ما لم يوجد من وضع هذه الوصايا. بالإضافة إلى هذا فإن السماء من فوقنا، والخلقة من حولنا يتحدثان عن قوة وألوهية الله الأبدية؛ لذلك فعندما يقول شخص ما (إنه لا يوجد اله) فهو بكل تأكيد يدعي الجهل بحقيقة، هو على يقين بمدى صحتها.

ولكن من الممكن أن نعرف المزيد عن الله إذا اتجهنا إلى الكتاب المقدس؛ ففيه أعلن الله للجنس البشري كل ما نحتاج أن نعرفه عنه، وكل ما يريده منا. إنه مصدر وحي جميع أسفار الكتاب المقدس، فإن الكتاب البشريين كانوا (مسوقين من الروح القدس)؛ فما كتبوه كان ما صممه الله بالضبط. الكلمات التي كتبوها هي الكلمات التي أراد الله أن يعلنها، وبالرغم من ذلك فقد كتبوا بدون أي تدخل لإمكاناتهم البشرية وبدون نزعاتهم الشخصية. إن الكتاب المقدس ليس كلام الناس بل هو كلمة الله؛ لذا فلسنا مضطرين أن نجلس ونتساءل: يا ترى من هو الله؟ وليس علينا أن نخمن؛ لأنه هو أعلن لنا عن نفسه بنفسه.

الله روح :

إن الله يخبرنا أنه روح (يو 4 : 24) فليس له جسد مثلنا. هو اله غير منظور. لم يره أحد من قبل ولا يستطيع أن يراه (1 تيمو 1 : 6 ، 15 - 16)؛ فنحن لا نستطيع أن ندركه بالحواس البشرية أو بمقاييس الوزن والأبعاد. صحيح أننا نقرأ أحيانا عن عينيه وأذنيه وفمه وهكذا، لكن ذلك مجرد وسيلة توضيح لعقولنا الضعيفة المحدودة، أن الله يرى كل شيء ويسمع لصلوات شعبه ويعلن عن نفسه. ولا يمكن عمل صورة أو تمثال له؛ فهو يمنعنا حتى من محاولة فعل ذلك (خر 20 : 4). لكن يجب أن نحرض على أن نتذكر أن الله "روح شخصي"، وليس شيئاً لا نستطيع أن نصفه، لكنه "شخص". الله له أسماء،

ومن أشهر هذه الأسماء "يهوه" وفي اللغة العبرية "Yahweh" "يهوه"، وعادة ما يترجم هذا الاسم في الكتب المقدسة بكلمة (السيد أو الرب). فالله له علاقات وصلة بالأشخاص، الرجال منهم والنساء، وأكثر من واحد من عُرف بأنه "صديق الله" (خر33 : 11)، (يع2 : 23). ففي أول صفحات الكتاب المقدس نقرأ عن الله أنه تكلم، ويستمر ذلك إلى آخر صفحات الكتاب المقدس، ونحن نتعلم مراراً وتكراراً أنه من الممكن أن نعرف الله، ولكن لن يكون ذلك ممكناً لو كان الله مجرد قوة أو تأثير لا نستطيع أن نصفه.

الله عظيم جداً :

لأن الله روح؛ لذلك فهو غير محدود بأي شكل من الأشكال، ولا يوجد شخص أو شيء يمكن أن يشابهه أو يقارن به (اش40 : 18). فإذا فكرنا في المكان، فهو موجود في كل مكان (مل8 : 27 ، مز139 : 7 - 10). "أما أملاً أنا السموات والأرض يقول الرب" (أر23 : 24)؛ فهو موجود في كل مكان في كل زمان، ولا يوجد مكان لا يوجد به الله. هذا لا يدعونا إلى الاعتقاد بأن أي مكان يوجد به جزء فقط من الله، فالله بجملته موجود في كل مكان بكل جلاله ومحبته وبكامل كيانه، وهذا ينطبق على كل الأماكن في كل الأوقات. كيف يكون ذلك؟ إن عقولنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب هذا الأمر. المحدود لا يستطيع أن يدرك غير المحدود، فكل ما نستطيع فعله هو أن نؤمن بكل ما أعلنه الله عن نفسه وأن ننحني بإعجاب ووقار له.

بالنسبة لعامل الزمن، فإن الله سرمدى (اش40 : 28 ، حب1 : 12) "منذ الأزل إلى الأبد أنت يا الله" (مز90 : 2)؛ فهو "الذي وحده له عدم الموت في ذاته وبذاته" (1 تيمو6 : 16). "فهو ساكن الأبد وسنوه لن تفتنى" (اش57 : 15 ، عب1 : 11 - 12). هذا أيضاً يفوق إدراكنا، فبداية كل شيء ترجع إليه، لكنه هو ليس له بداية، فهو الكائن والذي كان دائماً والذي سيكون دائماً، وهذا ما يعنيه ذلك التعبير الغريب (عالم بلا نهاية) الذي يستخدم دائماً في بعض العظات في الكنيسة. لا يوجد تغيير يمكن أن يطراً عليه، فلم ولن يوجد به أي تغيير لأنه دائماً كما هو (مل3 : 6 ، يع1 : 17). كل الأشياء تعتمد عليه لكنه قائم بذاته لا يعتمد على أي شخص أو أي شيء غير ذاته؛ فهو ينبع من ذاته؛ وهذا هو السبب في أن أحد أسمائه "الله الحي" (رؤ7 : 2)؛ وهذا هو السبب أيضاً في أنه أعلن عن نفسه لموسى بأنه "أهيه الذي أهيه" أي الكائن الذي يكون (خر3 : 14).

أما عن المعرفة فهو كلي المعرفة (مز139 : 2 - 5)، (1يو3: 20) "ولفهمه لا إحصاء" (مز147 : 5)، فبالنسبة لنا، فنحن لا نستطيع أن نتعلم أكثر من شيء في نفس الوقت، ودائماً حجم معرفتنا ضئيل. ولا يحتاج الله أن يتعلم، فهو يعرف كل الأشياء كما هي على حقيقتها وفي نفس الوقت، فليس هناك حدود لفهمه. إن هذا الأمر يبدو وكأنه لغز بالنسبة لنا، فليس هناك شيء لا يعرفه الله بكامل تفاصيله، ولا يوجد أمر يجله الله أو يتشكك فيه؛ وبالطبع هذا يعني أنه إله لا يمكن أن يخدع.

وأما عن القوة فهو دائماً يفعل كل ما يشاء (مز135 : 6 ، دا4 : 35). "كلما شاء صنع" (مز115 : 3). إن كل ما يسر أن يفعله محدد بطبيعته هو، ولأنه قدوس؛ فلا يمكن أن يختار أن يفصل عن القداسة والحق، ولأنه كامل في كل طرقه؛ فهو لا يمكن أن يختار أن يتغير، ذلك لأن التغير من الممكن أن يكون للأفضل أو للأسوأ، فلو كان للأفضل لدل ذلك على أنه لم يكن كاملاً. أما بالنسبة للتغير للأسوأ فإن ذلك يعني أنه لم يصل ان يكون كاملاً. صحيح أنه أحياناً يختار أن يغير الطريقة التي يتعامل بها مع البشر، ولكن ذلك يرجع إلى وجود تغير في الإنسان، وليس على تغيير في شخص الله، فليس هناك أمر أراد الله أن يفعله ولم يحدث (اش46 : 10)؛ لأنه هو وحده الإله، وباقي الكائنات هي خليقته. من يستطيع مقاومة مشيئته؟ (رو9 : 19 ، دا4 : 35) فإن كل الأشياء الموجودة في هذا الكون، مهما كانت صغيرة، فهي موجودة لتعمل كل شيء حسب رأي مشيئته (أف1 : 11).

إله فريد :

كل ما قد سبق وقرأناه حتى الآن يخبرنا عن الله، ولكنه ليس كافياً بأن نقول إن الله روح وموجود في كل مكان وأبدي وكلي المعرفة وكلي القوة، بل نحتاج أن نعرف أيضاً أي نوع من الآلهة هو؟

إنه قدوس. إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة (1يو1 : 5)، فشخصيته كاملة. هو طاهر ولا يوجد به أي دوافع أو أفكار أو كلمات أو أعمال شريرة، ولكنه من الصعب أن نصف قداسته بدقة؛ فالمخلوقات السماوية التي تحيط بعرش الله والتي هي خالية تماماً من أي دنس أو شر، لا تستطيع أن تنظر إلى مجد جلال الله، وتتأذى بعضها بعضاً في إجلال

ابدي "قدوس. قدوس. قدوس. رب الجنود" (اش6 : 3). فلا عجب إذن بأن يقول عنه سفر الخروج إنه: "معتزاً في القداسة" (خروج15 : 11). ان هذه الصفة تعزل الله عن كل مخلوقاته (مز99 : 3 ، اش40 : 25)، فكيف يمكن للإنسان أن يقترب من الله؟ (مز24 : 3). ان عينيه أظهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور (حب1 : 13).

إله بار :

"الرب بار في كل طريقه" (مز145 : 17) وهذا البر لا يتغير أبداً (صف3 : 5). ان قانونه في حكم خليقته مؤسس وقائم على عمودين متلازمين هما: العدل والحق (مز97 : 2). انه دائماً يفعل ما هو حق. انه بار وعادل في كل حكم ينطق به، ولا يمكن أن يلام في أي قضاء يحكم به؛ لأنه صارم في عدله (تك18 : 25 ، مز51 : 4). ان ما يطمئنا انه هو وحده سيدين العالم. ان الدينونة ستكون عادلة، لن تحدث أخطاء فيها، فلا أحد سينال أكثر أو اقل مما يستحق (مز96 : 13).

إله محب :

"الله محبة" (1يو4 : 8 ، 16)، إنه "الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء" (خر34 : 6). هو اله "الرحمة" وكثير "الرأفة" (مز51 : 1) "بطيء الغضب وكثير الرأفة" (يو2 : 13 ، يون4 : 2) وهو "يسر بالرأفة" (مي7 : 18). كم هو عجيب أن الإله القدوس الصارم في عدله إله "محبة" ؟ ! إن عدله تطلب عقابي أنا، لكنه استوفى ذلك عندما مات البديل البريء بدلاً عني (1بط3 : 18). ان محبته قد سبقت وأعدت أمر الخلاص، ولهذا قد أرسل الله المخلص يسوع المسيح ليموت (1يو4 : 10). ان المحبة والعدل لا يناقض أحدهما الآخر، فكلاهما موجود في الله، وكلاهما موجود في عمله على الصليب.

إله صالح :

"الرب صالح للكل" (مز145 : 9)، "صالح أنت ومحسن" (مز119 : 68) فإن الناس بطبيعتهم يفضلون ألا يكون لهم إله ضمن أفكارهم، ويختارون أن يسلكوا في طرقهم الخاصة؛ فإنهم يرفضون أن يحكم الله حياتهم ويفضلون اختيار ما يتعبدون له،

ومع ذلك فإن الله يقابل ذلك بالإحسان والصلاح لأولئك الذين هم في الواقع أعداؤه. "مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملاً قلوبنا طعاماً وسروراً" (أع14 : 17).

إن نضج المحاصيل وقوت الحيوانات وكل ما يتمتع به هذا الكون، مصدره الله (مز85 : 12 ، 104 : 24 – 31 ، يع1 : 17). لكن أعظم دليل يبرهن عن صلاح الله، نجده في طريقة معاملته لأولئك الذين كانوا أعداءه، ولكنهم تخلوا عن طريقهم هذا، وطلبوا الغفران منه "لأنك أنت يا رب صالح و غفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك" (مز86 : 5).

إله حكيم :

انه إله الحكمة. "ليكن اسم الله مبارگًا من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت" (دا2 : 20)، فعندما نرى الجمال والتناسق في خليقته، والتصميم المعقد في أصغر المخلوقات؛ نجد أنفسنا مدفوعين أن نقول: "ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت. ملأنة الأرض من غناك" (مز104 : 24). إن جميع المهارات التي يمارسها الإنسان ويطورها، وجميع أنواع المعرفة والفهم الموجودين في جنسنا البشري، والطريقة التي تجعل أن كل ما يحدث يؤدي إلى تنفيذ مشيئة الله؛ كل ذلك يرجع إلى حكمة الله (اش28 : 23 – 29 ، اش31 : 2 ، دا2 : 21). ان حكمة الله وفهمه لا حدود لهما، وابتعد ما يكون عن قدراتنا على الفهم والاستقصاء. "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما ابتعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء، لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ؟ لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين" (رو11 : 33 – 36).

إله يفوق الفهم :

من الواضح أن ما يقوله الله عن نفسه واضح بما فيه الكفاية، لكنه أعجب مما يدركه العقل البشري. إننا لا نستطيع أن نستوعبه؛ لأن أفكاره وطرقه أعلى من أفكارنا "لأنه كما علت السموات عن الأرض، هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم" (اش55 : 8 – 9). اننا يمكننا أن نعرف الحق، ولكننا لا نستطيع أن نفسر كيف يمكن أن يكون كذلك، لأن عقولنا محدودة جداً. إن الله فقط هو الذي يستطيع أن يفهم الله، فهل

يستطيع أي شخص أن يفسر كيفية وجود الله ككيان شخصي بدون جسد؟ وهل نستطيع أن ندرك كيفية وجود الله بجملة في كل الأماكن وفي كل الأوقات؟ وهل نستطيع أن نفهم فكرة وجود الله بلا بداية له، وأنه لا يعتريه أي تغيير؟ ألا تنتاب عقولنا الحيرة والارتباك عندما نحاول أن نفكر في معنى أن الله كلي المعرفة؟ وكيف أن الله يعمل كل ما يشاء دون أن يكون أنانيًا؟ وكيف يمكن أن يكون كلي القداسة، والبر، والمحبة، والصلاح والحكمة، كل هذا في نفس الوقت؟

لا يمكن الإجابة على سؤال عن الله يبدأ بكلمة "كيف؟" ان عقولنا البشرية أعجز من أن تجيب على مثل هذه الأسئلة، لكن الأسئلة التي تحتوي على الكلمة "ماذا؟" يمكن الإجابة عليها ببساطة ووضوح؛ لأن الله أظهر الإجابة في الكتاب المقدس.

فإننا يمكننا أن ندرس ونعلن ما قد قاله الله، ويمكننا أن نقول ما هو الحق، لكننا لا يمكننا أن نفسر "كيف يمكن أن يكون هكذا". ان ما نتعلمه ونعرفه عن الله يفوق إدراكنا، وكلما زادت هذه المعرفة كلما زاد إدراكنا انه لا يوجد أي رد فعل آخر سوى أن نعبد الله بكل وقار وإجلال.

إن حقيقة الثالوث والتي نحن على وشك دراستها، هي أعظم سر يمكن أن يقال عن الله. نحن لن نفهم أو نستوعب كيف يمكن للإله الواحد أن يكون ثلاثة أقانيم، لكننا لا نأتي إلى هذا الموضوع متسائلين "كيف يمكن لهذه الأشياء أن تكون؟" لكننا نأتي كدارسين متضعين باحثين في كلمة الله متسائلين "ماذا قال الله؟" إننا نفرح لأن الله قد أخبرنا بالكثير عن نفسه، ونحن نثق في حكمته التامة التي قررت ألا تعلن لنا عن المزيد. ولأن طبيعتنا وضيعة؛ فلا يمكننا أن نتدخل في أمور غير التي قد سمح لنا الله بالتدخل فيها. نحن لسنا مثل الله، اننا مخلوقات ولن يمكننا أن نكتشف أمورًا لم يعلنها لنا الله، ولن يمكننا أن نفهم ما لم يشرحه الله.

إله واحد فقط

سئل ذات مرة طفل صغير: كم عدد الآلهة الموجودة؟

أجاب: واحد

وكيف تعرف؟

أجاب: لأنه يوجد مكان لواحد؛ لأن الله يملأ السماء والأرض. فلا توجد حقيقة على الإطلاق يعلمها الكتاب المقدس بدقة ووضوح أكثر من حقيقة أنه لا يوجد إلا إله واحد الموجود فعلاً، ولو لم يكن الأمر كذلك لكنا افترضنا وجود آلهة كثيرة، وهو الأمر الذي ينكره الكتاب باستمرار، فلا يوجد آلهة أخرى على الإطلاق. إن البشر بصورة عامة لا يؤمنون بإله واحد، وعملوا لأنفسهم آلهة باطلة بلا عدد، ولكن لا يوجد منها إله حقيقي، ولا واحد منها إله حي. إن كلمة "إله" استخدمت أحياناً لتشير إلى الملائكة (مز 97 : 7) وذلك لأنها مخلوقات روحية ذات رتبة فائقة، وقد استخدم هذا اللقب أيضاً ليشير إلى الحكام والقضاة مز (82 : 1 ، 6) وذلك بسبب تسلطهم على الآخرين. حتى أن إبليس نفسه يدعي "إله هذا الدهر" (2كو 4 : 4)؛ وذلك بسبب تسلطه على الأشرار الذين اقتنصهم ظلماً، ولكن كل هذه استخدامات مجازية لكلمة "إله". لكن الكتاب المقدس يواصل إصراره على أنه لا يوجد سوى إله واحد حقيقي، وهو إله واحد حي.

لقد كان اليهود منذ طفولتهم يتعلمون ما جاء في (تث 6 : 4): "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد". إن هذا التعليم هو أحد أهم أركان الإيمان اليهودي الذي بنى على العهد القديم، ولقد كان هذا هو الإيمان الذي لا يمكن لليهودي أن ينحرف عنه، فهو يؤمن أن الرب هو الإله، ليس آخر سواه (تث 4 : 35).

ولابد أن يتذكر اليهود موقف تدشين الهيكل بعد أن استفاض سليمان الملك في صلاته الحارة، أنه التفت إلى الشعب وعبر عن مشتهى قلبه العميق: "ليكن الرب إلهنا معنا كما كان مع آبائنا، فلا يتركنا ولا يرفضنا.. ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر" (1مل 8 : 57 ، 60). هذا كان يعبر عما يشعر به كل شخص يهودي، وكان عليه أن يكون شهادة لعالم يجهل حقيقة عدم وجود آلهة أخرى، سوى الرب الإله.

ولابد أن يفكر في أيام النبي العظيم اشعيا، والكلمات التي قالها الرب الإله له: "هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود. أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري" (اش 44 : 6). ان الله الذي تحدث بهذه الكلمات نجده يصرح بأنه ملك إسرائيل. إن الشخص اليهودي يرى ان مهمته العظمى هي أن يتمسك بهذا الحق: أنه لا يوجد إله آخر سوى "يهوه"، فكم أحب أن يقرأ: "أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي.. أنا الرب وليس آخر" (اش 45 : 5 - 6).

واننا نجد أن يسوع نفسه نشأ على أن يعرف ويحب أسفار العهد القديم، بل وأن يلتزم بالدفاع عن الحق فيها. إن الاعتراف بأن الله إله فريد، هو الأمر الذي أعلنه الرب يسوع بغير تحفظ (مر 12 : 29 ، 32)، بل أن رسله علموا هذا أيضا بكل وضوح (1كو 8 : 4 - 6، أف 4 : 6 ، يع 2 : 19). إن هذا هو الإعلان الواضح عبر كل الكتاب المقدس.

الله واحد :

لقد كُتِبَ العهد القديم باللغة العبرية، وعندما كان اليهودي يتلو الكلمات الموجودة في (تث 6 : 4)، كان يتلوها بتلك اللغة، كما يفعل ذلك حتى اليوم، وللأسف فإن اللغة الإنجليزية عاجزة على أن تترجم بدقة ما تعنيه الكلمات في (تث 6 : 4) في جملة واحدة. إنها تعني أكثر من أن "الرب إلهنا رب واحد". إن هذه الكلمات يمكن أن تفهم ببساطة على أنه، لا يوجد إله آخر سوى الرب، وأنه هو الإله الوحيد. لكنها ممكن أن تترجم أيضا كالتالي: "الرب إلهنا الرب واحد". انه ليس فقط الإله الوحيد، بل ان هذا الإله الوحيد هو واحد.

لكن ما الذي نحاول أن نقوله هنا؟ يقول لويس بيركهوف "إن الله واحد في كيانه الجوهرى أو طبيعته الأساسية، فما معنى ذلك؟ معنى ذلك أن الله لا يمكن تقسيمه إلى أجزاء. بمعنى آخر، فنحن لا يمكننا الحصول على مجموعة من أجزاء، كل منها أقل من الله، وعندما نضعها معاً نحصل على الله؛ فهو ليس مثل لعبة المكعبات الخشبية، ولا مثل الجسم البشري الذي يتكون من أعضاء كثيرة؛ فلا يمكنك أن تضيف صفات

مثل أبدي، لا يتغير، كلي القداسة وكلي القدرة معاً فيصبح لدينا الله. إن الله لا يتكون من أجزاء، فهو غير قابل للانقسام. إنه واحد، كله أبدي، كله غير قابل للتغير، كله كلي القدرة والقداسة. فنحن لا يمكننا مثلاً أن نتزع منه صفة القداسة ونترك الباقي، فإذا استطعت أن تتزع القداسة لأمكنك القضاء عليه؛ لأنه كله قدوس.

إن هذا هو ما يعنيه علماء اللاهوت حينما يتحدثون عن كينونة الله: "جوهره غير قابل للتجزئة أو الانقسام". إن كلمة "جوهر Essence" أو "كينونة being" من الممكن أن نستبدلها بكلمة جوهر: "substance" وهذا لا يعني أن الله يتكون من أي شيء. في الفصول القادمة من هذا الكتاب سنتحدث عن أن الآب والابن والروح القدس، كلا منهم من نفس الجوهر substance. ولن نقصد من هذا أنهم مكونون من نفس المادة؛ لكن نعني أنه بالرغم من أنهم متميزون عن بعضهم، إلا أنهم نفس الإله الواحد، فكل ما هو الله هو الآب وكل ما هو الله هو الابن وكل ما هو الله هو الروح القدس، فكل اقنوم هو الله. كل اقنوم هو الله بذاته بكل ما يعنيه، بنفس الجوهر والكينونة والطبيعة، وبالرغم من ذلك فالله غير قابل للانقسام.

وسوفؤكد ما نعنيه بكلمات أخرى. إن الله الآب هو يهوه، والابن هو يهوه، والروح القدس هو يهوه. لكننا لا يجب أن نظن أنه يوجد ثلاثة آلهة كل منهم اسمه يهوه، وهنا يكمن السر في هذه الوحدة. قد تشعر وكأننا نسبق الأحداث، ولكننا يجب أن نكون أولاً مقتنعين بأن هناك يهوه واحد وأن يهوه الكائن هو واحد.

الله أكثر من واحد :

ولكن حتى في هذه المرحلة يجب أن نقول انه منذ بدء الأيام كان من الواضح أن يهوه أكثر من واحد، ولاحظ جيداً ما نقول: أنه لا يوجد أكثر من إله واحد كما سبق وأوضحنا، ومع ذلك فالله أكثر من واحد؛ فهناك إله واحد، وانه يوجد أكثر من أقنوم في ذلك الجوهر الإلهي.

يمكنك أن ترى ذلك بوضوح في الصفحة الأولى من كتابك المقدس، فنحن نقرأ في (تك 1 : 26 – 27): "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه". الضمير المتصل في تلك الأعداد يبيّن أن الله يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع، وكأنه أكثر من واحد، ويبيّن وحدانية الله وتعدد أقانيمه. وبعد هذه الأعداد نقرأ في الإصحاح الثالث من نفس السفر: "وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا" (تك 3 : 22)، وكذلك في (تك 11 : 5 – 7) نقرأ: "فنزل الرب.. وقال الرب: هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم". في كل هذه الأعداد، نجد أن هناك إلهًا واحدًا، لكنه يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع. وبعد ذلك بمئات السنين سمع أشعياء النبي يهوه الإله قائلًا: "من أرسل ومن يذهب من أجلنا" (أش 6 : 8) . كما أن هناك أعدادًا في العهد القديم تتحدث عن "ملاك الرب"، يتضح منها تمامًا أن هذا الشخص هو الله نفسه، فمن الواضح أيضًا أنه يمكن أن نميزه عن الله، فكلمة "ملاك" تعني المرسل، أو الذي أرسل، وعبارة ملاك الرب تعني "الشخص الذي أرسله يهوه". ففي (تك 16 : 7 – 13) يسجل لنا الوحي كيف أن "ملاك الرب" أوصى هاجر – التي كانت قد هربت من ابرام ومن سارة - أوصاها أن ترجع. فمن الواضح هنا أن الذي تحدث هو الرب نفسه، لأنها قد دعت ذلك المكان الذي قابلته فيه "إيل رئي" (تك 16 : 13). إن ذلك المرسل من الله كان هو الله بذاته.

وبعد ذلك زار ملاك الرب إبراهيم في بلوطات ممرا (تك 18)، وقد ظهر الزائر في هيئة رجل (عدد 2)، ولكن الوحي ذكر بوضوح أن الزائر كان الرب بنفسه (اعداد 1 ، 13 – 14)، وقد أدرك إبراهيم ذلك، وقدم له الصلاة (اعداد 23 – 32).

ولم تكن تلك هي المرة الأخيرة التي قابل فيها إبراهيم ملاك الرب. كان هو الملاك ذاته الذي أمر إبراهيم أن يتوقف عن ذبح ابنه اسحاق (تك 22 : 11 ، 15)، وقد دعى إبراهيم ذلك المكان "يهوه يراه" (عدد 14)، أي "الرب يُرى"، لأنه أدرك للمرة الثانية بوضوح، هوية ذلك الزائر السماوي، فقد اعطاه الملاك وعدًا؛ إذ قال: "بذاتي أقسمت يقول الرب.. (عدد 16). فالذي أرسل من الرب كان هو الرب ذاته. وهناك العديد من الفصول الكتابية التي تشير إلى الملاك في العهد القديم، وفي كل منها يتضح جلياً أن هذا الملاك المرسل من الله هو الله بنفسه، فقد كان هو "ملاك الرب" الذي تحدث إلى

موسى من العليقة المتقدة حيث قال: "أنا إله أبيك..." (خر 3 : 6)، ويمضي في حديثه ليعلن عن شخصيته أكثر باسم "أهيه الذي أهيه" أي الكائن الذي يكون (خر 3 : 14). إنه ذاته الملاك الذي قاد يعقوب وخلصه (تك 48 : 15 - 16)، وقد كان هو الرب بذاته الذي كان يسير أمام شعب بني إسرائيل، بعد أن خرجوا من أرض مصر (خر 13 : 21 ، 14 : 19).

وأيضا كان هو "ملاك الرب"، الذي ظهر مرتين في سفر القضاة، وفي كل مرة كان يكشف عن ذاته أنه هو الله (قض 6 : 11 - 12 ، 14 ، 16 ، 13 : 3 ، 9 ، 22). من ذلك نرى أن الله قد أرسل من الله. وفي نبوة اشعيا يتضح لنا شيء مشابه، فقد أخبر إسرائيل أن الرب الإله سوف يعطيهم آية: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً"، وان اسمه سوف يدعى عمانوئيل، الذي معناه "الله معنا" (أش 7 : 14)، وأن ذلك الشخص الذي سيرسله الله، سوف يكون الإله القدير (أش 9 : 6). والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو: كيف يمكن أن يرسل الله إلهاً إن لم يكن الله موجوداً في أكثر من أفتنوم؟ فلا يجب أن ننسى الآيات التي قد سبق وذكرناها من سفر اشعيا، فنفس السفر يكرر بإصرار على انه: لا يوجد إله إلا الواحد الذي عبده شعب بني إسرائيل. فهو إله واحد لكنه متعدد الأقانيم.

لذلك يخبرنا العهد القديم عن الله الذي يمسخ الله (مز 45 : 6 - 7). إن الرب الإله وروحه يرسلان شخصاً هو إله بذاته، (اش 48 : 16)، ونجد يهوه الإله يقيم ملكاً موعوداً سيكون هو يهوه (أر 23 : 5 - 6). وهكذا نجد أنفسنا نواجه ذلك الحق العجيب وهو أن "الإله الواحد متعدد الأقانيم".

ونحن هنا لا نقول أن عقيدة الثالوث كانت واضحة تمام الوضوح في العهد القديم، ولا نقول كذلك أنها كانت غائبة تماماً عن العهد القديم. لقد عرف مؤمنو العهد القديم أن هناك تعدداً في الألوهية. وفي الواقع كانت الإشارات باهتة بأن الله الواحد هو ثلاثة، فعندما كان الكاهن يبارك شعب بني إسرائيل ويضع عليهم اسم الله، ألم يكن يذكر اسم الله (يهوه) ثلاث مرات؟ (عد 6 : 22 - 27). ألم يسمع اشعيا السرافيم معلنين أن الله قدوس ثلاث مرات؟ (اش 6 : 3) فكل ذلك كان إعداداً وتمهيداً للحق الذي كشفه العهد

الجديد بكل وضوح. إن الله كان يكشف عن نفسه شيئاً فشيئاً في أيام العهد القديم، ثم أرسل ابنه إلى العالم في ملء الزمان، وبعد ذلك سكن في قلوب المؤمنين بروحه القدس. إن حقيقة "الثالوث" لم يتم الإعلان عنها بمجموعة من الجمل أو الافتراضات. إن عمل الله في "الخلاص" هو الذي أوضحها. إن المؤمن المسيحي يمكن أن يقرأ العهد القديم ويفهم تلك الحقيقة بسهولة أكثر من قارئيه الأصليين من اليهود. فالفقرات التي تتحدث عن وحدانية الله، وفي نفس الوقت عن تعدده في ذاته، تبدو معقولة لديه، فهو لا يتعثر عند قراءة الآيات التي تتحدث عن كل من وحدانية الله وتعدده، ولن يندهش عندما يقرأ بأن الله يناقش نفسه، أو عندما يحصى الوعود، بأن الله سيرسل الله إلى العالم. ومع ذلك فهو لا يستطيع أن يدرك كيف يمكن أن يكون الله واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد. إلا أنه يعرف أن هذا هو الواقع. إن مؤمني العهد القديم كان لديهم العديد من المفاتيح لحل هذا اللغز، لكنهم لم يروا الحق بوضوح، فكل ما كان غامضاً لديهم أصبح واضحاً لنا.

الآب هو الله

مع أننا في بداية الفصل الثالث إلا أنني يجب أن أقول شيئاً عن الفصل الرابع، ففيه سنرى أن الرب يسوع المسيح هو الله، ومع ذلك عندما علم تلاميذه أن يصلوا للآب لم يدعهم أن يصلوا له، فقد قال: "فصلوا انتم هكذا أباناً...." (مت 6 : 9). إن الصلاة لله لا توجّه للرب يسوع المسيح ولكن توجّه للآب. فهناك الواحد الذي هو الله – لكنه ليس الرب يسوع المسيح – والذي يحمل اسم الآب. ولكن قبل أن نستطرد في هذا الأمر يجب أن نلاحظ أن الوحي المقدس لا يستخدم كلمة "الآب" دائماً بنفس الطريقة.

هو الآب للكل :

إن كلمة "الآب" أحياناً لا يقتصر استخدامها للتعبير عن أقنوم محدد في اللاهوت، غير الابن والروح القدس، لكنها تستخدم للتعبير عن الألوهية ذاتها. والآن نستعرض بعض الأمثلة التي توضح ذلك. فعندما يكتب بولس إلى المسيحيين في كورنثوس، فهو يذكرهم بأن الأوثان التي تحيط بهم ليست آلهة حقيقية على الإطلاق، ومع أن هذا ليس هو ما يؤمن به عابدي الأوثان، ولكن هذه هي الحقيقة. إن الأوثان لا تمثل آلهة لها وجود حقيقي؛ لأنه يوجد فقط إله واحد له وجود حقيقي، هو ذلك الإله الذي يعبده المسيحيون. لذلك فهو يكتب لهم: "لكن لنا إله واحد الآب" (1كو 8 : 6). إن كلمة "الآب" هنا تعادل في معناها كلمة "إله واحد". إن الرسول بولس يقول هنا إنه: لا يوجد سوى إله واحد، ولا يفكر مطلقاً في الأقانيم المختلفة لهذا الإله، ومن هذا المنطلق يستخدم لفظ "الآب" كما استخدمه في (أف 4 : 6)، حيث يكتب عن "إله وآب واحد للكل".

إن كاتب رسالة العبرانيين فعل شيئاً مماثلاً في الأصحاح الثاني عشر والعدد التاسع، فهو يشرح لهم أن الله يعامل المؤمنين المسيحيين كأولاده، فكما يؤدب الآب أبناءه فقط، هكذا يؤدب الله أبناءه المؤمنين عن طريق اختبارات غير مرغوبة لكي يقوم شخصياتهم. هذه الاختبارات لا يجب أن نرفضها بل أن نقبلها، ولا يجب أن تقلل

هذه الاختبارات من تعلقنا بالله، بل بالحري تزيده، "ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهايهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فحياً" (عب12 : 9). هنا أيضاً نجده يستخدم لفظ "الأب" ليشير إلى الله، وليس كأقنوم في اللاهوت. وهذا بالضبط ما استخدمه يعقوب عندما كتب: "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار" (يع1 : 17).

أبو إسرائيل :

إن كلمة "الأب" تستخدم أيضاً للتعبير عن حقيقة أن الله كان لشعب بني إسرائيل - في العهد القديم - بمثابة الحاكم والرئيس: "الرب ... أليس هو أبك ومقتنيك؟" (تث32 : 6). إن كلمة "الأب" هنا استخدمت كاسم بديل للإله الواحد، دون أن يقصد بها أقنوم بذاته، من أقانيم اللاهوت. كذلك صلى اشعيا قائلاً: "فانك أنت أبونا... ولئينا.... والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك" (اش63 : 16 ، 64 : 8).

ولم يكن لكل شعب بني إسرائيل في العهد القديم هذه الثقة بالله، لذلك ففي أيام إرميا يقول الله لهم من خلال النبي: "ألست من الآن تدعيني يا أبي أليف صباي أنت؟" (أر3 : 4). وبعد ذلك في أزمنة لاحقة كان كل إسرائيلي يتحدث عن الله على أنه هو أبو الأمة، حتى وإن لم يكن يمارس هذا الاعتراف في حياته العملية. فلم يقدم شعب بني إسرائيل لله الإكرام اللائق به، ولم يتعاملوا مع بعضهم البعض كأخوة. وفي ذلك الوقت كان توبيخ الله لهم: "فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي؟ أليس أب واحد لكننا؟ أليس إله واحد خلقنا؟ فلم نغدر الرجل بأخيه؟" (ملا1 : 6 ، 2 : 10).

أبو المؤمنين :

في الوقت الذي جاء فيه الرب يسوع المسيح، كان اليهود معتادين على استخدام كلمة "الأب" كبديل للفظ "إله"، فكانوا يعلمون أن اليهود وحدهم هم أبناء الله؛ لذلك كان على الرب يسوع هو ورسله تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ. فليس كل الناس بالضرورة أبناء الله، ولا كل اليهود أبناء الله. إن هذا الامتياز يخص كل الذين يتوبون ويؤمنون ببشارة الإنجيل. انهم فقط الذين يتمتعون بعلاقة حميمة مع الله، ويستمتعون

بالراحة في ظل عنايته. إن هؤلاء الناس وليس اليهود، هم إسرائيل الحقيقي، الذين يعترف بهم الله. هم فقط المؤهلون لأن يدعوا الله أباهم.

ولقد تحدث الرب يسوع إلى تلاميذه فقط بقوله : "أبيكم الذي في السموات" (مت 5 : 45)، ولهم وحدهم قال: "... أبوك... أباكم... أبوكم السماوي" (مت 6 : 6 ، 8 ، 14). ولقد كتب الرسول بولس في (رو 8 : 16): "إننا أولاد الله" لأولئك الذين لهم علاقة صحيحة مع الله، بالإيمان بالرب يسوع المسيح. إن دخولهم في عائلة الله بحيث يكون الله "أباهم"، لهو أرفع إمتياز، لهم وحدهم، ولا يستطيع أحد أن يشاركهم هذا الامتياز، أيًا كان. وهم فقط الذين يستطيعون أن يهتفوا بابتهاج قائلين: "انظروا آية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله" (1يو 3 : 1).

أبو الرب يسوع المسيح :

إن الرب يسوع المسيح هو الله، كما سنرى أيضاً بعد قليل، ولكن بالرغم من أن الله هو أب للمؤمنين، لكن هذا الأب ليس هو الرب يسوع المسيح. إن الله الأب مختلف عنه. إن أبا المؤمنين هو نفسه أبو المسيح، ولكن بمفهوم مختلف. إن المؤمنين المسيحيين هم أبناء الله الأب "بالتبني"، أما المسيح فهو الابن الأزلي الأبدي للأب. فلماذا قال المسيح لمريم: "اني أصعد لأبي وأبيكم؟" (يو 20 : 17)، لماذا لم يقل "اني اصعد لأبينا؟" إن ما قاله الرب يسوع لمريم، يوضح أنه أبونا نحن والمسيح، ولكن الكلمات وُضعت بطريقة تنبّر على أن الله أب للمسيح، ولكن بطريقة تختلف عن ابوته لنا .

ويتضح لنا من إنجيل يوحنا، أنه بالرغم من أن الأب هو الله، وأن الرب يسوع المسيح هو الله إلا أن كليهما مختلف عن الآخر؛ وفي ذات الله، أحدهما هو الأب للآخر، والآخر هو الابن لذلك الأب. وفي بداية إنجيل يوحنا نقراً: "والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الأب، مملوءاً نعمة وحقاً" (يو 1 : 14). هذا الجزء يعرفنا أن "الكلمة"، الذي هو الرب يسوع المسيح، يختلف تماماً عن الأب. أحدهما صار جسداً بينما الآخر لم يفعل. ومع ذلك فإن مجد المسيح هو نفسه

مجد الآب، لذا فلا بد أن كليهما هو الله بنفس المعنى. إن المسيح هو التعبير الكامل عن الله الآب، وهذا ما عبّر عنه يوحنا، عندما وصف المسيح بـ "الكلمة".

ونحن نقرأ: "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو 1 : 18). ولكننا من خلال الفصل السابق، عرفنا أن أناسا رأوا الله؛ فلا بد إن ما يعنيه هذا العدد، هو أن الله الآب لم يره أحد قط. وعندما رأى أناس الله، فهم قد رأوا الرب يسوع المسيح. إن الابن هو ما رآه الناس. إنه هو "ملاك الرب". إن الابن مختلف تماماً عن الآب. ولهذا وصفه يوحنا بأنه: "في حضن الآب"، ومع ذلك فإن من رآه فقد رأى الآب. فالابن هو كمال التعبير والإعلان عن الله. إن كليهما هو نفسه الله، ولكن كلا منهما يختلف عن الآخر. ومع اختلافهما هذا عن بعضهما البعض، لكنهما في نفس الوقت إله واحد حي وحقيقي. ولكننا لا يجب أن نظن أننا أغفلنا لأننا لم نر الآب؛ لأن الرب يسوع المسيح وقف أمام العالم معلناً: "أنا والآب واحد" (يو 10 : 30)، "الذي يراني يرى الذي أرسلني" (يو 12 : 45)، "الذي رأيته فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أننا الآب؟" (يو 14 : 9).

وعندما تحدّث المسيح بعبارات الألفة هذه عن الله الآب، بدأ اليهود في التخطيط لقتله (يو 5 : 17 – 30). لم يجادل أحد في حقيقة أن الآب هو الله، لكن كلمات الرب يسوع كانت تتضمّن، معادلة نفسه بالآب، أي معادلاً لله. لقد عرفوا أنه يوجد إله واحد فقط، وأن هذا الإله الواحد هو الآب. فبالرغم من النصوص الكتابية الموجودة بالعهد القديم، التي ناقشناها من قبل، فإن اليهود لم يتصوّرُوا أن الله متعدد الأقانيم. إن حقيقة تعدد الأقانيم كانت غائبة عنهم. إن ما كان واضحاً لهم هو أن المسيح يدّعي أنه مساوٍ لله، واعتقدوا من خلال ذلك أنه يدّعي أنه إله إضافي. كان ذلك بالنسبة لهم بمثابة تجديف! وهذا يفسّر السبب في أنهم أرادوا أن يقتلوه. لقد آمنوا بشدة بألوهية الآب، لدرجة أنهم لم يتخيّلوا وجود ألوهية لآخر (يو 8 : 53 – 59). لقد كانوا مُخطئين بشأن الثاني - كما سنرى بعد ذلك - لكنهم لم يكونوا مخطئين بشأن الأول (الآب هو الله).

الرب يسوع المسيح الابن هو الله

إن الكتاب المقدس ملئ بالدلائل التي تبرهن أن يسوع المسيح هو الله. إن هذا حق لا يحتمل الشك فيه.

أزليته :

من بين كل الرجال والنساء الذين عاشوا على هذه الأرض، فإن الرب يسوع وحده هو الذي لم تبدأ حياته، عندما ولد على الأرض. قد كان موجوداً قبل ذلك الوقت. إنه موجود منذ البدء، وبه خلقت كل الأشياء (يو 1 : 1 - 3 ، كو 1 : 15 - 18). لقد كان غنياً قبل أن يفتقر لأجلنا (كو 8 : 9). "خرجت من عند الأب وقد أتيت إلى العالم" (يو 16 : 28)، ولقد وصف نفسه بأنه: "هو الذي نزل من السماء" (يو 3 : 13)، وقد سأل سامعيه عما سيظنون إذا رأوه "صاعداً إلى حيث كان أولاً" (يو 6 : 62).

فهو يريدنا أن نفهم أنه هو الله، الذي حلّ بيننا كإنسان. وبالطبع هذا ما كان يعنيه عندما صلى في حضور تلاميذه قائلاً: "والآن مجدّني أنت أيها الأب عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو 17 : 5). إعلاناته بأنه الله، فهمت من اليهود فهمًا تامًا أنه الله؛ لذلك التقطوا الحجارة ليترجموه عندما سمعوه يقول: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو 8 : 58). فلو كان قد قال "قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت"، لما ساءهم الأمر بهذه الدرجة. فقد كان من الممكن أن يترفقوا بحاله، ويعتبروه مريضاً بالهوس، أو مختل العقل. لكنه لم يقل ذلك. لقد قال "أنا كائن". لقد كان يقصد أنه دائم الوجود، أي أزلي أبدي. قبل أن يكون إبراهيم وحتى تلك اللحظة، التي كان يتكلم فيها، هو كائن. ألم يقل الله عن نفسه أنه "أهيه" أي "الكائن"؟ ألا يدل ذلك على أن يسوع يعلن ألوهيته؟ لكن اليهود لم يصدقوه بل اعتبروا إعلانه تجديفاً، والتقطوا الحجارة ليترجموه.

أسماء يسوع وألقابه :

قبل أن يبدأ يسوع خدمته العلنية، بدأت كرازة يوحنا المعمدان، الذي أعلن أنه جاء تحقيقاً لنبوذة اشعيا النبي: "صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا" (اش40 : 3).

لقد كان أمراً معتاداً في الشرق، أنه عند مرور شخص ذي مكانة رفيعة، يسبقه بشير يعلن مجئ ذلك الشخص. لقد كانت مهمته أن يمهد له الطريق، حتى إذا جاء لا يتخبط في الطريق الوعره. إن يوحنا المعمدان أوضح جيداً ان الشخص الذي يأتي بعده هو يهوه نفسه. الله نفسه (يو1 : 23). لقد أكد ذلك بقوله: "هذا هو الذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي" (يو1 : 15). وعندما رأى يوحنا يسوع مقبلاً إلى نهر الأردن، أعلن أنه هو ذلك الشخص الذي تحدّث عنه (يو1 : 29 – 30). إن يسوع هو نفسه يهوه الموعود به. يسوع هو الله. وقد لقبه يوحنا بأنه "حمل الله، وابن الله" (يو1 : 29 و34). إن ابن الله هو الله، ولكن الابن ليس هو الأب، لأنه حينما تعمّد يسوع، سمع صوت من السماء قائلاً: "انت ابني الحبيب. بك سررت" (لو3 : 22).

لقد كان اليهود يدركون تماماً، أن لقب "ابن الله" هو لقب الله نفسه. وعندما وقف يسوع ليحاكم في الليلة السابقة لصلبه، استحلفه رئيس الكهنة بقسم قائلاً: "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا، هل أنت المسيح ابن الله؟" (مت26 : 63). فأقر يسوع بأن ذلك صحيح. ثم يخبرنا متى البشير بما حدث بعد ذلك: "فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود. ها قد سمعتم تجديفه" (مت26 : 65). لقد كان مقتنعاً أن ما قاله يسوع هو تجديف، لأنه كان يعلم أن لقب "ابن الله" هو لقب إلهي. لكن لم يكن هذا تجديفاً، بدون شك، لقد كان الحق نفسه، الذي لم يؤمن به رئيس الكهنة ولا المجمع اليهودي آنذاك.

لكن التلاميذ آمنوا بذلك الحق، ذلك الحق المجيد عن حقيقة شخصية المسيح، تلك التي سطعت في أذهانهم، قبل تلك المحاكمة بسنة أو بسنتين، عندما قال بطرس للمسيح بالنيابة عنهم جميعاً: "انت هو المسيح ابن الله الحي" (مت16 : 16). وقال

أيضاً: "كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمننا وعرفنا أنك انت المسيح ابن الله الحي" (يو6 : 68 – 69). وهذا ما فعله بولس أيضاً عندما أصبح مؤمناً مسيحياً: "وللوقت جعل يكرز في المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله" (أع9 : 20). وتهلل بأن يقول أن: "يسوع ابن الله" كما جاء في (رو8 : 3).

وهذا هو نفس ما يخبرنا به يوحنا عندما قال، إن المجد الذي رآه في يسوع هو مجد ابن وحيد للأب (يو1 : 14). لقد كان مع الأب منذ البدء (1يو1 : 1 – 2). إنه هو الكلمة الذي "كان عند الله في البدء" (يو1 : 1 – 2). لم يكن فقط "عند الله" ولكن "كان الكلمة الله" (يو1 : 1). لقد كان يوحنا جازماً فيما يتعلق بالوهية المسيح. إن مجد "يهوه" الذي رآه اشعياء النبي قبل ميلاد المسيح بسبع مئة عام، كان هو نفس المجد الذي للمسيح (اش6 ، يو12 : 39 – 41). إن الهدف الأساسي من كتابة يوحنا لإنجيله؛ هو أن يقنعنا أن: "يسوع المسيح هو ابن الله" (يو20 : 31).

إن ابن الله هو نفسه الله؛ فكلمة "الرب" التي دائماً تقترن به، يمكن أن توضّح لن هذا الأمر. عندما ترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية، كانت كلمة "يهوه" تترجم "Kyrios". أما العهد الجديد فقد كُتب باللغة اليونانية ذاتها، التي استخدمت كلمة "الرب" أي "Lord" للتعبير عن نفس الكلمة "Kyrios"، ولذا فنحن نرى أن الكلمة التي استخدمت للتعبير عن "يهوه"، هي ذاتها الكلمة التي استخدمت للتعبير عن الرب يسوع المسيح. فلا نتعجب إذن من أن يسوع هو الله. إن كاتب سفر العبرانيين عندما يستخدم الكلمات: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور"، كان يشير بها إلى الرب يسوع المسيح (مز45 : 6 – 7 ، عب1 : 8). ليس هذا سوى أحد العديد من الشواهد الكتابية التي استخدمت في العهد القديم لتشير إلى "يهوه"، وطبقها كتاب العهد الجديد على المسيح.

بالنظر إلى هذه الأجزاء الكتابية، نستطيع أن ندرك أنه يمكننا أن نتحدث عن المسيح كالله. قارن بين (عد21 : 5 – 6) وما جاء في (1كو15 : 9) ثم القول: "يا إلهي .. أنت هو وسنوك لن تنتهي" في (مز102 : 24 – 27) وفي (عب1 : 10 – 12)، كذلك "السيد .. رب الجنود" في (اش6 : 1 – 10) مع (يو12 : 39 – 41) أيضاً

"رب الجنود" (اش8 : 13، 14، رو9 : 33)، "إلهًا قديرًا" وقارن بين ما جاء في (اش9 : 1 - 6) وما جاء في (مت4 : 14 - 16). وعن القول: "السيد" قارن بين (مل3 : 1) و(مت11 : 10).

ونجد أن بولس الرسول أيضا لم يخجل أن يدعو "الكائن على الكل إلهًا" (رو9 : 5)، وأيضا "الله العظيم مخلصنا" (تي2 : 13). وفي أجزاء أخرى يؤكد على الوهية المسيح، في عبارات مثل: "بنعمة إلهنا والرب يسوع المسيح" (2تس1 : 12). ويخبرنا أيضا أن الله اشترى الكنيسة: "اقتناها بدمه" (أع20 : 28). ويتقدم أكثر من ذلك فيقول أنه: "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا"، أي فيه جسديًا يسكن كل ما في الله (كو2 : 9). فأيًا كانت الشكوك التي تثار في أيامنا عن يسوع المسيح، فإنه من الواضح من كان ذلك الذي آمن به الرسل وعلموا عنه. إن الابن ليس هو الأب، لكن الابن هو الله. إنه الله بنفس الطريقة التي عليها الأب أيضا الله.

سأل أحد المتشككين - في ألوهية السيد المسيح - صديقه قائلاً: لو أن المسيح فعلاً هو الله، لكان الكتاب المقدس قد ذكر ذلك بأوضح عبارات ممكنة. فأجابه صديقه: "لو أنك آمنت بهذا الحق وتعلمه، فأية كلمات كنت ستختارها لتعبّر عنه؟ فأجاب المتشكك كنت سأقول: "إن يسوع المسيح هو الإله الحقيقي". فأجابه الصديق: إن هذا بالفعل ما قاله الكتاب المقدس، فلقد قال يوحنا عن الابن: "هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية" (1يو5 : 20).

صفاته :

بعدما رأينا أن المسيح يُدعى الله، فلا غرابة أن نجد أن الصفات التي يتصف بها الله يوصف بها المسيح أيضاً. فعلى سبيل المثال في سفر (اشعيا 44 : 6) نقرأ أن "يهوه" يقول عن نفسه: "أنا الأول والآخر"، ثم نجد في سفر الرؤيا يسوع يقول عن نفسه: "أنا الألف والياء. البداية والنهاية. الأول والآخر" (رؤ22 : 13). إن "يهوه" أبدي، و "يسوع" أبدي. إنه لمن المؤكد أن يسوع هو يهوه. إنه هو الله .

وأيضاً نحن نعلم أن الله لا يتغير (مل3 : 6)، فإن ما يشجعنا ويثبتنا، أن نعرف أن يسوع ابن الله، أيضاً لا يتغير: "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب13 : 8). وكما أن الله موجود في كل مكان، فإن المسيح أيضاً يشجعنا عندما نذهب للكراسة ببشارة الإنجيل، عندما يقول عن نفسه: "ها أنا معكم كل الأيام" (مت28 : 20). لقد أعلن عن كونه "كلي الوجود" حينما وعد أنه: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فإنه سيكون في وسطهم" (مت18 : 20). إن الله كلي القدرة، وأيضاً يسوع المسيح: "بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء" (في3 : 21). الله "كلي المعرفة"، وهذا أيضاً واضح أنه ينطبق على المسيح. إنه يستطيع أن يقرأ ما بداخل قلوب الناس (يو2 : 24 - 25)، فمنذ البداية كان يعرف من الذي سيسلمه (يو6 : 70 - 71، 13 : 10 - 11). لقد تنبأ أيضاً عن تفاصيل موته وقيامته (مت16 : 21)، وتنبأ أيضاً عن إنكار بطرس له وتوبته مرة أخرى (لو22 : 31 - 34)، ويعرف أيضاً أحوال الكنائس كما في (رو2 : 2). لكن لا أحد يعرف الابن معرفة كاملة إلا الأب: "ليس أحد يعرف الابن إلا الأب" (مت11 : 27).

ومن يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟ (مر2 : 7) لكن يسوع بكل سلطان قال للمفلوج: "يا بني مغفورة لك خطاياك" (مر2 : 5). ويحثنا الرسول بولس قائلاً: "كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً" (كو3 : 13). ومن غير الله يمكن أن يكون قدوساً؟ فنجد بطرس وهو يدرك ذلك جيداً، يتهلل بأن ينسب ما جاء في المزمور السادس عشر إلى المسيح وأن يدعوه: "قدوسك" (أع2: 27). وهناك العديد من الحجج كهذه: فمثلاً ما جاء في (اشعيا 45 : 23) نجد أن "يهوه" يؤكد قائلاً: "لي تجثو كل ركبة ويحلف كل لسان"، ويؤكد العهد الجديد أنه سوف "تجثو باسم يسوع كل ركبة.. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب...". (في2 : 10 - 11). ويتكرر ذلك كثيراً، حيث نجد أن كل ما ينطبق على "يهوه" وحده، ينطبق على يسوع أيضاً. إن يسوع هو يهوه. إن ما يمكن أن يقال عن الله وحده، يمكن أن يقال عن المسيح. إن المسيح بلا أدنى شك هو الله.

أعماله الإلهية :

من الذي خلق العالم؟ يقول الكتاب عن يسوع: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.. كَوَّنَ العالم به.. الكل به وله قد خلق" (يو: 1: 3، 10، كو: 1: 16، 17).

من الذي يمسك بالكون ويحكمه؟ مع ذلك قيل عن يسوع: "فيه يقوم الكل.. حامل كل الأشياء بكلمة قدرته.. وكان يسوع قادراً أن يعلن لتلاميذه قائلاً: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (كو: 1: 17، عب: 1: 3، مت: 28: 18).

مَنْ غير الله سيقم الموتى ويدين العالم؟ فنحن نقرأ في الكتاب المقدس أيضاً عن يسوع: "تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو: 5: 28 – 29). "لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح" (2كو: 5: 10). ولقد أعلن الرب يسوع المسيح عن هذا الأمر بوضوح، عندما تحدّث عن مثل الخراف والجداء. فالرعاة الشرقيون لديهم النوعان في قطعانهم، ولكن يأتي وقت يتحتم فيه فصلهما عن بعضهما البعض. فلقد أعلن أنه سيأتي في مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب "فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء" (مت: 25: 32). فمن غير الله يستطيع أن يفعل ذلك؟

وَمَنْ غير الله يستطيع أن يعطي الحياة الأبدية؟ إلا أن يسوع يقول عن المؤمنين: "وأنا أعطيتها حياة أبدية" (يو: 10: 28). ومن غير الله يستطيع أن يرسل الروح القدس؟ إلا أن يسوع وعد قائلاً: "أرسله إليكم" (يو: 16: 7). من غير الله يستطيع أن يقدّس شعبه؟ لكننا نقرأ ما كتبه بولس: "أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدّسها مطهراً إياها" (اف: 5: 25 – 26). فهناك أشياء لا يستطيع أحد أن يعملها غير الله وحده، لكن الرب يسوع المسيح يفعل هذه الأشياء، فلا بد أن يكون هو الله.

إن تعاليم الرب يسوع وأعماله على الأرض، يقودانا إلى نفس هذه النتيجة. فنحن نقرأ أن أنبياء العهد القديم، دائماً ما يبدؤون نبواتهم بعبارة: "هكذا يقول الرب" لكن

يسوع عندما جاء، كان يعلم بسُلطان فريد، فقد كان يُذهل سامعيه (مت 7 : 28 – 29 ، يو 7 : 32 ، 45 – 46). فقد اعتاد اليهود على تعاليم الكتبة اليهود، الذين كانوا يقضون أغلب أوقاتهم في اقتباس أقوال العلماء. أما يسوع فلم يتكلم مثلهم، ولم يتحدث كالأنبياء، لكنه كان يتكلم بسُلطانه الخاص. فقد كان يقول "اني الحق أقول لكم ... " (مت 5 : 18 ، 20 ، 22 ، ... الخ). من خلال هذه المواقف يتضح ان المسيح يعلن لاهوته. لقد كان يتكلم كالله .

وبنفس الطريقة تحدّث يسوع إلى الأرواح الشريرة وأخرجها (مر 1 : 21 – 27). لقد كان لمجرد كلماته، تأثير بالغ في طرد الأرواح الشريرة، بعكس الطقوس اليهودية المعقدة لاجراج الشياطين. ونراه أيضاً يتحدث إلى الرياح والأمواج فتطيعه (مر 4 : 41)، وتحدّث إلى العمي فرجع إليهم بصرهم، وإلى الصمّ فاستعادوا السمع (مت 9 : 27 – 32، مر 7 : 34 – 35). وبسلطان كلمته مشى العُرج وشُفِيَ المرضى، وقام الموتى (يو 5 : 8 – 9 ، لو 17 : 11 – 19 ، مر 5 : 41 – 42) فقد كان يتكلم كإله، والذين شاهدوا معجزاته شعروا في أنفسهم أنهم في محضر الله (لو 5 : 25 – 26 ، 7 : 16 ، 9 : 43). إن معجزاته كشفت عن حقيقة شخصيته. وكما كتب يوحنا في ختام إنجيله: "وأشياء أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو 20 : 30 – 31).

عبادة إلهية :

وبما أن يسوع هو الله فليس من الخطأ أن تقدم له العبادة. فإن الكتاب المقدس يعلمنا أن العبادة، ليست جائزة فقط، بل واجبة أيضاً. فالمسيح هو الذي قيل عنه: "لتسجد له كل ملائكة الله" (عب 1 : 6). وهم بالفعل يسجدون له. فهناك ربوات عديدة من الملائكة تحيط به في السماء قائلين بصوت عظيم: "مستحق هو الخروف المذبح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" (رؤ 5 : 12). وهم ينضمون إلى شعبه في الأرض هاتفين: "الذي أحبنا وقد غسلنا من

خطايانا بدمه. وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الأبد. آمين" (رؤ 1 : 5 - 6).

ويعرف المؤمنون الذين يقدّمون عبادتهم للمسيح بأنهم: "الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح" (1كو 1 : 2)، وهم يفعلون ذلك؛ لأن هذه هي إرادة الله أن: "يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" (يو 5 : 23). وهذا هو السبب في أن اسطفانوس وجّه صلاته للمسيح في لحظات استشهاده (أع 7 : 59 - 60). وهذا هو السبب أن كل من يقبل بشاره الملكوت، يعمّد باسم الابن كما باسم الآب والروح القدس (مت 28 : 19). وهذا هو سبب أن الرسول بولس عندما كتب البركة لقارئيه يطلب لهم، نعمة الرب يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس (2كو 13 : 14). إن يسوع هو الله بنفس الكيفية التي عليها الاقنومين الآخرين.

إن أحد الأحداث الهامة في الأناجيل الأربعة، تلك المتعلقة بتوما المتشكك. ففي اليوم الذي قام فيه ربنا يسوع المسيح من الأموات، أظهر نفسه حيّاً لتلاميذه الخائفين، الذين اجتمعوا معاً والأبواب مغلقة. لكن توما لم يكن معهم، ولم يصدقهم عندما أخبروه قائلين: "قد رأينا الرب"، وكان ردّه: "إن لم أبصر في يديه أثر المسامير واضع اصبعي في أثر المسامير واضع يدي في جنبه لا أؤمن" (يو 20 : 25). ويخبرنا يوحنا عما حدث بعد ذلك: "وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلًا وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال سلام لكم. ثم قال لتوما: "هات اصبعك إلى هنا وابصر يدي وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً". فأجاب توما وقال له: "ربي وإلهي" (يو 20 : 26 - 28).

إن يسوع لم يرفض الاعتراف المذهل الذي خرج من شفّتي توما. فلم يقل له إن ما قاله تجديف، وأن العبادة توجّه لله وحده. لقد وافق على كل ما قاله توما، بل أنه في الواقع أجابه قائلاً: "لأنك رأيتني يا توما أمّنت! طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يو 20 : 29). لقد أوضح أنه لكي تصبح مؤمناً حقيقياً، يجب أن تؤمن بألوهيته. ويبقى الاعتراف الخاشع: "ربي وإلهي"، هو اعتراف المؤمنين الحقيقيين حتى يومنا هذا.

انه موضوع إيمانهم. انهم خلصوا بسبب إيمانهم به (اع16 : 31). إنهم يعرفونه بأنه "الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تي2 : 13).

وهم لا يفزعون عندما يعرفون أن الشخص الذي يعبدونه قال: "أبي أعظم مني" (يو14 : 28)، لكنهم يتعجبون بأن ذلك، وهو الإله الأبدي المساوي للأب، كان عليه أن يتجسد في صورة إنسان، ويتحمل ذلك الهوان، حتى أنه يقول مثل ذلك القول: "أبي أعظم مني". لقد كان إنساناً حقيقياً، وقد قال ذلك كإنسان. وكان إنسان كان الله أباه بطريقة فريدة، وذلك لأنه فعلاً إله. إن الثالوث هو أعظم سر في ذلك الوجود، والبنوة هي السر الثاني. إن هذا الموضوع، يحتاج إلى كتاب لمعالجته، ونكتفي هنا بالقول أن بشرية المسيح الحقيقية، لا تقلل بأي حال من الأحوال من إلهيته الحقيقية. ونعود نكرر القول: "فإنه في كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو2 : 9).

من كل ما سبق، ما هي النتيجة التي نخلص بها؟ لقد رأينا أنه لا يوجد سوى إله واحد، ورأينا أيضاً أن الأب هو الله، وأن الرب يسوع المسيح الابن، والابن ليس هو الأب. ونحن متأكدون أنه لا يوجد إلهان. لكننا عرفنا أنه يوجد اثنان كلاهما هو الله.

لكن كلمة "ثالوث" لا تعني التثنية، لكنها تعني التثليث. ويعود أصلها إلى الكلمة اللاتينية (trinitas)، وقد صاغها ترتليان القرطاجي في نهاية القرن الثاني الميلادي. لقد حاول اعداء الإيمان المسيحي والمهرطقون، افساد الحقائق الكتابية البسيطة. وكان من الضروري إيجاد كلمة تجمع ذلك الحق الكتابي وهو: "أن الله هو واحد في ثلاثة أقانيم وأيضاً ثلاثة أقانيم في واحد".

وقد استخدم ثاوفيلوس الانطاكي الكلمة اليونانية (trias) بهذا المفهوم [الثلاثي - المثلث] عام 180م. ولكن الكلمة التي استخدمها ترتليان وجدت أنها تفي أكثر بالمعنى. فكلمة "الثالوث" ليست إذن كلمة كتابية، لكنها كلمة استخدمت لتصف حق كتابي يعلمه الكتاب المقدس بكل وضوح. ولقد استخدمتها الكنيسة المسيحية منذ عام 220 ميلادية. لذلك فليس هناك فقط اثنان كل منهما هو نفسه الله، الأب هو الله، والرب يسوع المسيح الابن هو الله، ولكن هناك أيضاً الروح القدس.

الروح القدس هو الله

انه اقتوم :

إن الكثير من الناس لديهم ذلك الانطباع بان الروح القدس ليس اقتوماً. إن لقب "الابن" الذي يطلق على الرب يسوع المسيح، يعطينا الانطباع بأنه شخص. ولكن ليس هذا هو الحال بالنسبة لاصطلاح "الروح القدس" أو "روح الله". إن ابن الله حلّ بيننا متخذاً شكل إنسان، لكن الروح القدس لم يظهر أبداً بهذا الوضوح في هيئة شخص. لذلك فمن السهل أن يظنه البعض كمجرد قوة أو تأثير، يأتي من الله. وهناك العديد من الفقرات الكتابية التي تبدو وكأنها تدعم هذا الانطباع. فعلى سبيل المثال تلك الأجزاء التي تتحدث عنه وكأنه ريح أو نسمة أو قوة، واننا لنجد في (خر 37 : 1 – 14) مثلاً جيداً لذلك. ولكن بالنظر إلى ما كتب عن الروح القدس في كل الكتاب المقدس، يتضح انه بالفعل اقتوم، وانه هو الله، بنفس الطريقة التي بها الأب والابن، وإن كان يمكن تمييزه عنهما كليهما.

اننا نراه يتصرف كشخص. فإذا تفحصت ما كتب عنه في إنجيل يوحنا في الاصحاحات 14 إلى 16 سوف ترى ما قاله يسوع عنه انه: "يمكث" (يو 14 : 17)، "ويعلم" "ويدكر" (يو 14 : 26) "ويشهد" (يو 15 : 26)، وبيكث (يو 16 : 8)، يرشد، ويسمع، ويتكلم، يخبر، ويمجد (يو 16 : 13 – 14). إن مجرد القوة والتأثير لا يمكنهما أن يفعلوا كل هذه الأمور. وأيضاً نقرأ عنه في مواضع أخرى من العهد الجديد أنه: يعلم (لو 12 : 12 ، 1كو 2 : 13)، ويشهد (أع 5 : 32)، ويتكلم (أع 8 : 29 ، 28 : 25 ، عب 3 : 7)، ويدعو أشخاصاً للخدمة (أع 13 : 2)، ويرسل (أع 13 : 4)، يمنع حدوث أمور معينة (أع 16 : 6 – 7) ويقوم من الأموات (رو 8 : 11)، ويشفع (رو 8 : 26)، ويقدّس (رو 15 : 16)، ويعلن، يفحص ويعرف (1كو 2 : 10 – 11)، وينجز أموراً كثيرة، لا يمكن عملها إلا بواسطة شخص.

إنه لا يتصرف فقط كشخص، ولكنه يتصف أيضاً بكل الصفات التي تشكل في مجموعها الشخصية. فهو ذو فكر (يو 14 : 26 ، 15 : 26 ، رو 8 : 16)، وله إرادة

(1كو12 : 11)، ومشاعر (اش63 : 10 ، أف4 : 30). فهل كان يمكن لبولس أن يتحدث عن "محبّة الروح" (رو15 : 30)، لو أن الروح كان مجرد قوة أو تأثير عمل الله؟ هل كان من الممكن أن يقول عن الله أنه يعلم "اهتمام الروح" (رو8 : 28)، إن لم يكن اقنوماً متميزاً في اللاهوت؟ وإن لم يكن شخصاً، لما تحدّث الكتاب المقدس عن أشخاص يكذبون عليه (أع5 : 3)، ويجربونه (أع5 : 9)، ويقاومونه (أع7 : 51) ويحزنونه (أف4 : 30)، يزدرون به (عب10 : 29)، ويجدّفون عليه (مت12 : 31)، ويتحدّثون إلى الروح (حز37 : 9). فإن لم يكن اقنوماً، فكيف يمكن أن يحدث له كل ذلك؟

وكيف أمكن للرسل أن يقولوا "رأى الروح القدس ونحن..". (أع15 : 28) إذا كان الروح القدس مجرد قوة أو تأثير؟ وكيف يمكن لمن يقبل بشارّة الخلاص أن يعتمد باسم "الأب والابن والروح القدس" (مت28 : 19) إذا كان الأب والابن اقنومين بينما الثالث ليس اقنوماً؟ وكيف كان يمكن أن يقال عن يسوع أنه "رجع بقوة الروح"؟ (لو4 : 14) إذا كانت كلمة الروح تعني قوة، فإن المضمون الشامل لهذا العدد، أن الروح وقوته شيان مختلفان. صحيح أن له قوة، لكنه ليس مجرد قوة. وينطبق هذا الكلام على العديد من الأجزاء الكتابية مثل (أع10 : 38 ، رو15 : 13 ، 1كو2 : 4) التي ستصبح بلا معنى إذا استبدلنا كلمة "الروح" بكلمة "قوة".

لقد كتّبت العهد الجديد باللغة اليونانية. والكلمة اليونانية للروح هي "pneuma". إن هذا الاسم لا يؤنث ولا يذكّر. لكن في إنجيل يوحنا (16 : 7 ، 8 ، 13 - 14 الخ)، نجد أن يسوع أشار إليه بضمير مذكّر وليس محايداً؛ وذلك لأن الرب يسوع أراد أن يؤكد لنا، أن الروح القدس شخص وليس مجرد شيء. وفي الوقت نفسه دعا الروح القدس "بالمعزّي" أو "المعين" (يو14 : 16 ، 26 ، 15 : 26، 16 : 7)؛ فلا يجوز أن يستبدل هذا الاسم بكلمة "راحة" أو أي اسم يطلق على قوة أو تأثير ما. لذلك قد وعد الرب يسوع أنه بعد صعوده، سيأتي ذلك المعزّي لتلاميذه، ليكون معهم كما كان يسوع نفسه معهم. لذلك فالواضح أن الروح القدس لا بد وأن يكون شخصاً كما يكون الرب يسوع. ولكنه من الواضح أيضاً أن كلا من الروح القدس ويسوع المسيح يتميز كل منهما عن الآخر.

أقنوم إلهي :

مادام يسوع هو الله؛ فليس من المعقول أن الأقنوم الذي أرسله ليحل محله يكون أقل من الله. فمن ذا الذي يستطيع أن يحل محل المسيح بالنسبة للتلاميذ إن لم يكن هو أيضاً الله نفسه؟ ولقد كان هذا هو الحال. إنه يوجد روح واحد (أف4:4). ويعطينا العهد الجديد أربعة محاور رئيسية توضح أن الروح القدس هو الله. إن هذه المحاور الرئيسية هي ذاتها التي تحدثنا عنها عندما تحدثنا عن ألوهية المسيح؛ لذلك فهي ليست أقل إقناعاً من تلك:

المحور الأول هو أن الأسماء التي تطلق على الله، تطلق أيضاً على الروح القدس. فعلى سبيل المثال في (خر17: 7) نقرأ أن: "... من أجل مخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب" الذي هو يهوه، وفي (مز95: 8) يشير إلى نفس تلك الحادثة وفيها يقول الله: " فلا تقسوا قلوبكم كما في مريية... حيث جربني أبائكم". وعندما استشهد كاتب سفر العبرانيين بهذا العدد في (عب3: 7 - 11)، ذكر الكاتب أن قائل هذه الكلمات هو الروح القدس.

وبمعنى آخر فإن الله قائل هذه الكلمات التي جاءت في (عب3: 7 - 11)، هو نفسه قائل ذلك العدد في (مز95: 8)، أي أن الروح القدس هو الله.

وهذا هو نفس ما كتب في (اش6: 8 - 9)، ففي هذا الجزء نجد اشعياء يسمع صوت "يهوه" متسائلاً: "من أرسل؟" وبعد ذلك بقليل يرسله بالنبوة قائلاً: " اذهب وقل لهذا الشعب...". وعندما استشهد بولس بتلك الكلمات في (أع28: 25 - 27) قال إن الروح القدس كان هو المتحدث. إذن فإن "الروح القدس" هو "يهوه". إنه هو الله. ونستطيع أن نتعلم نفس الدرس إذا قارنا (أر31: 33 مع عب10: 15 - 16). وهذا هو السبب وراء إصرار بطرس على أن من يكذب على الروح القدس، فهو يكذب على الله (أع5: 3 - 4). وهو أيضاً السبب وراء إصرار بولس، أنه عندما يسكن الروح القدس بداخل أي شخص، يجعل من جسده هيكلًا لله (1كو3: 16 - 17، 6: 19).

أما عن المحور الثاني، فهو أن الصفات والخصائص التي تنسب لله، هي ذاتها التي تنسب للروح القدس. إن ما يقال عن الله وحده، يقال أيضاً عن الروح القدس. لم يكن من الممكن أن يكون الأمر هكذا؛ لو لم يكن الروح القدس هو الله نفسه. وسنكتفي هنا بالقليل من الأمثلة. إن الله هو الوحيد الذي يتصف بأنه "ازلي"، ونحن نجد في سفر العبرانيين (9: 14) أنه نفس ما يقال عن الروح القدس. وهو أيضاً "قدوس"، ويوجد في كل الأماكن، في كل الأوقات (مز 139: 7-10). إن الروح القدس كلي المعرفة (اش 40: 13-14، 1كو 2: 10-11، رو 11: 34). إن الروح قادر أن يفعل ما يشاء (1كو 12: 11، رو 15: 19). إن هذه الأمور يتصف بها الله وحده. وهذا أيضاً ما يتصف به الروح القدس. إذن الروح القدس هو الله.

أما عن المحور الثالث فهو أن الأعمال التي يعملها الله وحده، تنسب أيضاً للروح القدس. أليس الله هو الذي خلق الإنسان؟ لكننا نرى ما قاله أليهو في سفر أيوب: "روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني" (أي 33: 4). ومن غير الله يستطيع أن يعمل على بقاء الكون الذي خلقه؟ ومن غير الله يستطيع أن يصنع المعجزات؟ ومن غير الله يستطيع أن يعطي الخاطئ طبيعة جديدة ويُحي روحه؟ ومن غير الله يستطيع أن يقيم الموتى؟ إن كل هذه الصفات نسبها الكتاب المقدس للروح القدس (مز 104: 30، أي 26: 3، مت 12: 28، 1كو 12: 9-11، يو 3: 5-6، تي 3: 5، رو 8: 11). فمن غير الله نفسه الذي يستطيع أن يعمل أعمال الله؟ وهي بالتحديد الأعمال التي يعملها الروح القدس.

في (2كو 3: 18) يخبرنا الرسول بولس أن الروح القدس يستمر في تغيير حياة المؤمنين، وهو يستمر في تغيير حياتهم حتى يصبحوا على صورة الله. فهل يستطيع أحد غير الله أن يفعل ذلك؟ وبنفس الطريقة يخبرنا بولس الرسول أن الكتاب المقدس موحى به من الله (2تي 3: 16)، ويخبرنا أيضاً بطرس الرسول أن المؤلف الأصلي لأسفار الكتاب المقدس هو الروح القدس (2بط 1: 21). حقاً إن الروح القدس هو الله.

ونأتى إلى المحور الرابع، الذي يتحدث عن أن الكتاب المقدس يرينا أن العبادة والإكرام اللذين يقدمان لله وحده، يجب أن يقدموا للروح القدس. فعلى اسمه يُعمد كل من يتجدد (مت28: 19).

كما أننا نجد أيضا أن الروح القدس يُجَدَّف عليه. إن التجديف هو إهانة لمجد الله، وإن لم يكن الروح القدس هو الله، فلم يكن من الممكن التجديف عليه. على أن خطية التجديف على الروح القدس، إنما هي أخطر الخطايا، وهي لا تغفر أبداً (مت12: 31 – 32). كما أننا نجد بولس يقول في (رو1: 9) إن الله شاهد على صدق وحقيقة ما يقول، وكذلك يقول أيضا في (رو9: 1) إن الروح القدس يشهد في ضميره بصدق كلامه. انه لا يخشى أن يتضرع إلى الروح القدس، عندما طلب بركة الله للذين كان يكتب إليهم (2كو13: 14).

لذلك فإن الروح القدس هو الله. إن له نفس صفات الله، وأعمال الله. وتقدّم له الصلاة والإكرام كإله. إنه هو الله. إنه الله بنفس الكيفية التي بها الأب والابن.

الروح القدس أقنوم متفرد:-

يجب أن نكون منتبهين لحقيقة أن الروح القدس، اقنوم متفرد. إنه هو الله، كما أن الأب هو الله والابن هو الله. لكنه ليس هو الأب ولا هو الابن.

وسوف نتناول هذا الأمر بأكثر دقة في الفصل التالي. لكن هناك أمر يحتاج التأكيد عليه الآن من نصّين في الكتاب المقدس، ففي (مت12: 31 – 32)، تلك الفقرة الكتابية التي تحدثنا عنها منذ قليل، ففيها نجد أن يسوع يقول إن خطية التجديف يمكن أن تغفر. ولقد فهم سامعوه أنذاك أنه يتحدث عن خطية التجديف على الله الأب. ولكنه يمضي ليوضح أكثر أن خطية التجديف على الابن، يمكن أن تغفر أيضا. لكن التجديف على الروح القدس شيء يختلف عن التجديف على الله الأب أو التجديف على الله الابن. لذلك فالروح القدس متفرد عن الأب وعن الابن.

وفي نص كتابي آخر في (يو 15: 26)، عندما يتحدث يسوع عن المعزّي: "الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق.."، فمن الواضح أن الروح القدس ليس الرب يسوع المسيح، لأن المسيح هو الذي وعد بأن يرسله. ومن الواضح أيضاً، أنه ليس الآب؛ لأن المسيح سيرسله من عند الآب. إن كلا منهم هو الله، لكنّ كلا منهم متفرّد عن الآخر. إن هذا الحق يمكن تلخيصه كما جاء في اقرار الإيمان الويستمينستري المختصر: "انه يوجد ثلاثة اقانيم في اللاهوت، الآب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد، لهم نفس الجوهر، ومتساوون في القوة والمجد"، وهذه هي عقيدة الثالوث في أبسط صورها.

ثلاثة أقانيم مختلفة

إن الهدف من هذا الفصل هو أن نؤكد على تلك الحقيقة، التي قد تحدثنا عنها توًّا، وهي: أن الأب ليس هو الابن والابن ليس هو الروح القدس والروح القدس ليس هو الأب. إن كلا منهم هو نفسه الله. كل منهم هو الله الكامل، لكن كل منهم متفرّد عن الآخر. إن هذا الحق ليس من الصعب أن نقرّه ولكن ما يتعذر علينا، هو فهمه. عندما حاول بعض الناس أن يفهموا هذا الحق، انتهى بهم الأمر إلى أنهم أنكروه.

إن ما يحدث عادة هو أحد ثلاثة أمور:

أولها ان البعض يفهم، أن الكتاب المقدس يعلم عن أن الله ثلاثة أقانيم، فينتهوا إلى إنكار أن الله إله واحد. لقد وقعوا في شرك الاعتقاد بأن الثلاثة أقانيم ثلاثة كيانات إلهية منفصلة. وبمعنى آخر، فلقد وجدوا أنفسهم Tritheist أي يؤمنون بثلاثة آلهة.

الأمر الثاني، أن آخرين يفهمون أن الكتاب المقدس يعلم عن وجود إله واحد؛ فانكروا ألوهية الابن، وأنكروا ألوهية الروح القدس. لقد رفضوا حتى مجرد قبول هذين الأقتنومين، على أنهما الله، وبهذا يكون لهم أقتنوم واحد فقط ككيان إلهي وحيد. وهؤلاء يدعون بالـ (الموحدين أو الأريوسيين).

الأمر الثالث هو، أن البعض الآخر رأى أن الكتاب يعلم عن وجود إله واحد؛ فاعتقدوا أن الأب هو نفسه الابن وهو نفسه الروح القدس، كأقتنوم إلهي واحد. أي انه يوجد كائن إلهي واحد، يظهر في أوقات مختلفة، وبطرق مختلفة، وأن أسماء الأب والابن والروح القدس، تفسير للهيئات والوظائف المختلفة لذلك الأقتنوم الإلهي.

فإذا كنا قد استوعبنا، وأما بالتعليم الذي جاء في الفصول السابقة، فإننا سندرك بسهولة خطأ الاعتقادين الأول والثاني. وقد عرفنا أن الله هو إله واحد، وعرفنا أيضاً أن كل أقتنوم من الأقانيم الثلاثة، هو الله. وبالإضافة إلى إيماننا بهاتين الحقيقتين، يجب أن

لا نتوقف عن التأكيد على أن الآب والابن والروح القدس، هم ثلاثة أقانيم، متفرّدة عن بعضها البعض. وهذا الحق سيحمينا من خطر الاعتقاد الثالث.

إن الألقاب مثل: الآب والابن والروح القدس، ليست أسماء مختلفة لأقنوم واحد، يظهر في هيئات مختلفة، وفي أوقات مختلفة. انهم أقانيم متفرّدة. ففي (يو: 12: 28) نجد الآب يقول "مجدت" وفي (يو: 17: 4) الابن يقول: "أنا"، وفي (أع: 13: 2) نجد الروح القدس يقول: "دعوتهما". فهناك ثلاثة أقانيم هم الله، وكل منهم يستطيع أن يقول عن نفسه: "أنا" بصيغة المفرد، ولا أحد منهم يقول: "نحن" بصيغة الجمع. ولكنهم يشتركون، في معرفة وقوة وإرادة غير محدودة. لذلك فنحن نقول انهم أقانيم متفرّدة، فنحن لا نعني أنهم منفصلون، كل منهم عن الآخر، كما يتميز كل إنسان عن غيره من الناس. إنهم إله واحد. وبالنسبة لنا، فإن مسألة وجود الثلاثة أقانيم في كيان واحد، سر عميق؛ فلا توجد طريقة يمكن أن نشرحها بها. كل ما أعلن لنا هو: أن الثلاثة أقانيم متفرّدة "روح واحد... رب واحد... إله وآب واحد" (أف: 4: 4 - 6)، "الروح واحد... الرب واحد... الله واحد" (1كو: 12: 4 - 6)؛ فمن الواضح جداً أنهم ثلاثة أقانيم، وبالطبع هم إله واحد.

ونحن لا يجب أن نؤمن بهذا، لمجرد أنه الإيمان التاريخي للكنيسة المسيحية. إن الإيمان غير المباشر، هو إيمان غير حي. فلماذا لا نتحدث عن هذا الأمر بنفسك في الكتاب المقدس أثناء تقدّمنا في هذه الدراسة؟ إن هذا الأمر سيكون سهلاً، خصوصاً في الصفحات القليلة التالية، وخاصة وأن معظم الأجزاء الكتابية التي سنشير إليها هي من إنجيل يوحنا.

البرهان الكتابي:-

لقد رأينا في الفصل الرابع أن: الرب يسوع المسيح الابن هو الله، وأنه هو التعبير الكامل عن الله الآب (يو: 1: 18)، لكنه أيضاً أعلن أن الآب هو الذي أرسله (يو: 5: 23-24)، وأنه جاء من عند الآب (يو: 16: 28)، وإليه يعود (يو: 14: 2، 16: 28)، وأنه يقبل الوصايا من الآب (يو: 10: 18، 14: 31)، وأن الآب يحب الابن (يو: 3: 35)، وأن الابن يوجّه صلّاته إلى الآب ويخاطبه بضمائر مثل: "أنت" (يو: 11: 41، 17: 3، 12: 27 و28). وأيضاً نقرأ أن الآب يتحدث عن الابن بضمائر مثل: "أنت" وليس: "أنا"

(مر: 11 ، لو: 3: 22)، ثم أيضاً نجده يعطي إجابة مسموعة لصلاة الابن (يو: 12: 27 و28). انه لمن الواضح أن الأب ليس هو الابن، وأن الابن ليس هو الأب. إن ألقابهما توضح ذلك. هذا هو الحق الكتابي: أن كلا منهما هو الله، كما سبق وأوضحنا.

لكن ليس هذا هو كل شيء، فعندما نقرأ (يو: 14: 16، 26، 15: 26، 16: 13 – 15)، فإننا نتعلم شيئاً آخر. إن المعزي "الروح القدس" متفرد أيضاً عن الأب، كما أنه متفرد عن الابن. إن يسوع يطلب من الأب، لكي يرسل الروح القدس. إن الأب يرسله في اسم الابن، وإن يسوع نفسه يرسله من عند الأب. إن الروح يمجّد الابن، ويأخذ مما أعطاه الأب للابن، ويخبر به تلاميذه. وسوف نعود مرة أخرى إلى هذه الأعداد في الفصل الثامن. وهنا يمكننا أن نلاحظ أن كل عبارة في هذه الأعداد، أختيرت لتوضح أن الأب والابن والروح القدس، كل منهم متفرد عن الآخر، وأن كلا منهم ليس هو الآخر.

وبالطبع هناك المقاطع الكتابية الأخرى، التي نرى فيها بوضوح، أن الأب والابن والروح القدس، يتفرد كل منهم عن الآخر. ففي الأجزاء الأولى من (مت: 3: 13 – 4: 1) نقرأ عن حادثة المعمودية ربنا يسوع المسيح فعندما صعد من الماء، نزل عليه روح الله، وفي نفس الوقت سمع صوت الأب من السماء، ليعلن أنه هو ابنه الحبيب الذي سرّ به (مت: 3: 13). فهل هناك برهان، يوضح التفرد - الذي بين الأقانيم الثلاثة - أوضح من ذلك؟ فالأب في السماء والابن على الأرض والروح القدس نازلًا.

وفي الأعداد الأخيرة من إنجيل متى، نقرأ عن إرسالية يسوع لتلاميذه إلى العالم أجمع، أن يُعمّدوا كل من يقبل الخلاص: "باسم الأب والابن والروح القدس" (مت: 28: 19). إن الحرف "و" في هذا العدد، له دلالة كافية على أن الأب ليس هو الابن، والابن ليس هو الروح القدس، والروح القدس ليس هو الأب. ومع ذلك فوحدة الله لا تتجزأ. إن من يؤمن بالمسيح، ويقبل بشارة الملكوت، يعمّد، ليس "بأسماء"، بل "باسم"، فهم إله واحد.

ونستطيع أن نرى شيئاً مشابهاً في (2كو13: 14)، حينما يمنحهم بولس البركة الرسولية قائلاً: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين". فمرة أخرى نجد الحرف "و" يوضح لنا أنهم ثلاثة أقانيم متفرّدة عن بعضها البعض. فبالرغم من إيمان بولس بوحداية الله، نراه يصلي للثلاثة أقانيم في البركة الرسولية، ويقبل عقيدة الثالوث. ومرة أخرى نقول، إنه بالرغم من أن كلمة "الثالوث" غير موجودة حرفياً في الكتاب المقدس، لكن يمكننا أن نرى هذه العقيدة على صفحاته بكل وضوح.

كلمة أقتوم:-

وهناك كلمة أخرى، استخدمناها مراراً في هذا الكتاب، لا نراها مكتوبة حرفياً في أي من النصوص الكتابية التي درسناها. إنها كلمة "اقتوم". ونحن الآن بحاجة أن نقول شيئاً عنها. ليس من الصعب أن نجد عقيدة "الثالوث" في الكتاب المقدس، لكن الصعوبة تكمن في إمكانية التعبير عنها. إنه ليس من الصعب أن تقول إنه لا يوجد سوى إله واحد، وليس من الصعب أن تقول إن الله موجود في ثلاثة أقانيم. إن الصعوبة تواجهنا، عندما يسألنا شخص: "ثلاثة من ماذا...؟" فإنك لا تستطيع أن تقول "ثلاثة أثلاث" "Three Thirds"؛ وذلك لأن الأب ليس جزءاً من الله، لكنه الله الكامل. وكذلك الأمر بالنسبة للابن والروح القدس. ولا يمكنك أن تقول "ثلاثة آلهة"؛ لأنك حينئذ تكون قد وقعت في فخ الشرك بالله، وأنكرت وحدانية الله. لذا فماذا عسانا أن نقول عن كل من الأب والابن والروح القدس؟ فإنهم ثلاثة... في اللاهوت. لا يمكننا أن نترك هذا الفراغ الموجود بعد كلمة ثلاثة، فلا بد أن نملأه إما بكلمة مناسبة أو أن نبتكر كلمة جديدة.

لقد استخدمت العديد من الكلمات، عبر القرون المختلفة، لكنها أثبتت أنها غير وافية بحال من الأحوال. إن الكتاب اليونانيين استخدموا كلمة "hypostasis". أما الكتاب اللاتينيون فاستخدموا كلمة "persona" والتي معناها "شخص مقنّع أو شخصية في مسرحية". وأحياناً - خاصة في العصور الوسطى - استخدموا كلمة "substantia" والتي ترجمتها "وجود أو كيان".

إن استخدام العديد من الكلمات المختلفة، يبرز حقيقة أن أيًا منها ليست كافية لتقي بالمعنى المطلوب منها. أما الكلمة "اقنوم" "persona"، والمأخوذة من كلمة "persona" "شخصية"، أصبحت هي الكلمة الأكثر تداولاً، لكل من يتحدثون اللغة الإنجليزية.

لكننا يجب أن نحرص كل الحرص عند استخدامنا لهذه الكلمة، فنحن لا نستخدمها بالمعنى الأصلي، في اللغة اللاتينية المأخوذة منها. فالثلاثة أقانيم في اللاهوت، أمر يختلف عن الممثل في المسرحية، الذي يظهر بثلاثة أدوار مختلفة، أو في ثلاثة أزياء مختلفة. ولا تستخدم الكلمة "اقنوم"، المترجمة "person" أو شخص أيضاً بالمعنى المتداول الآن، فنحن نستخدمها للتعبير عن شخص منفرد له ذات وله احساس. إن الله ليس له ثلاث شخصيات منفصلة، تقف جنباً إلى جنب، ومنفصلة عن بعضها، والتي من الممكن -ولو نظرياً- أن يعمل كل منهم ضد الآخر. إن مجرد التفكير بهذه الطريقة، سيؤدي بنا إلى الشرك بالله، وعبادة ثلاثة آلهة بدلاً من إله واحد.

إننا نقصد بكلمة "اقنوم" أنه يوجد تفرّدات أقنومية داخل الكيان الإلهي، يمكنها أن تستخدم ضمير المتكلم "أنا"، وضمير المخاطب "أنت" وضمير الغائب "هو". لكننا لا نعني أن الكيان الإلهي يمكنه أن يتجزأ، أو نظن أننا أمام مجموعة من ثلاثة أفراد مستقلة. لكن كلا منهم يمكن - بطريقة غامضة - أن يقال عنه أنه في الآخر (يو17: 21). إن الله جوهر واحد لا يتجزأ. وبهذا المفهوم فإن الله إله واحد. لكن هذا الجوهر الإلهي الواحد، سرمدى (أزلي أبدي) كالأب والابن والروح القدس. وهذا يعني أن الله مثلث الأقانيم، ونحن لا نستطيع أن نتصور كيف يكون للثلاثة أقانيم فكر واحد ومشية واحدة، ولكن ما يجب أن نؤكد عليه هو أن هذا هو ما نؤمن به، ليس لأننا نستطيع أن ندركه ونشرحه، ولكن لأن هذا هو ما أعلنه الله لنا عن نفسه، في كتابه المقدس أنه: "ثلاثة أقانيم لا تتجزأ، في إله واحد عجيب".

وإذا حدث وفكرنا في الله بطريقة مختلفة عن ذلك، فسيكون لدينا صورة عن الله، مختلفة عما جاءت في الكتاب المقدس، وسوف نكون قد خلقنا إلهاً من نسيج خيالننا، وهذه هي الوثنية.

إننا جميعاً ندرك، أن فهم عقيدة الثالوث، هو أمر يفوق أذهاننا. إن مجد الله لا يمكن إدراكه. فليس هناك نظائر لما نصفه، ولا يوجد أي أسلوب، يمكن به تصوير هذا الحق. من الممكن أن يكون لديك ثلاثة أشخاص، كل منهم يختلف عن الآخر، ومع أنهم متساوون، في أن كلا منهم إنسان، إنما في نهاية الأمر، سيظلون ثلاثة أشخاص، وليسوا شخصاً واحداً. أما الثلاثة أقانيم في اللاهوت، فهم متساوون في أن كلا منهم هو الله، لكن كلا منهم متفرد عن الآخر، والعجب يكمن في أنهم بعد، إله واحد. وهذا الإله، ليس بمعزل عن الأقانيم الثلاثة. إن هذا الإله: ليس له كيان آخر، سوى الأقانيم الثلاثة لذلك الثالوث. إن كل ما يمكن أن يقال عن الله، يمكن أن يقال عن كل اقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة؛ لأن كلا منهم هو الله. كل منهم، له الإجلال في اللاهوت؛ ولهذا فلا يمكن أن يكون أي اقنوم منهم، أعلى أو أدنى من الاقنومين الآخرين. إن كل ما يمكن أن يقال عن أي منهم، يمكن أن يقال عن الآخرين أيضاً.

ولكن يجب أن نقول، أن هناك أشياء يمكن أن يقال عن الأب، لا يمكن أن يقال عن الابن والروح القدس. وبالمثل فإن هناك أموراً، يمكن أن يقال عن الابن وحده، وأموراً يقال عن الروح القدس وحده. وفي تعريف الثالوث في إقرار الإيمان الويستمينستري الموسع مكتوب: "يوجد ثلاثة أقانيم في اللاهوت. الأب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد حق أبدي. متساوون في الجوهر والقوة والمجد، بالرغم من اختلاف الخصائص التي يتميز بها كل اقنوم منهم". ونأتي الآن لموضوع الخصائص التي يتميز بها كل اقنوم.

الولادة الأزلية للابن

إن عنوان هذا الفصل يبدو وكأنه معقد؛ لذا دعونا نوضح ما الذي سوف نتحدث عنه هنا. إننا نتحدث عن "الخواص المميزة لكل اقنوم" من أقانيم اللاهوت. فهناك أمور محددة، يمكن أن تقال عن كل اقنوم منهم، ولا يمكن أن تقال عن الاقنومين الآخرين.

إذن "فما هي الخواص المميزة لأقانيم اللاهوت الثلاثة؟" وهو سؤال في إقرار الإيمان. إن الإجابة على هذا السؤال عويصة، فأحد الأمور المميزة للآب، أنه يلد الابن، وللابن أنه مولود من الآب، وللروح القدس، أنه ينبثق منذ الأزل من الآب والابن.

واضح أنه إذا تحدثنا عن الولادة ثم عن الانبثاق، سنتمكن من الحديث بإسهاب، عن الخواص المميزة لكل اقنوم. وسوف نتحدث في هذا الفصل عن موضوعين وهما: "الآب يلد الابن"، "والابن مولود من الآب". وسوف نتحدث في الفصل التالي، عن انبثاق الروح منذ الأزل، من الآب والابن.

ابن :

إن الكلمة المحورية في هذا الأمر هي كلمة "ابن"، وسوف يساعدنا كثيراً أن ندرك، أن الكتاب المقدس يستخدم هذه الكلمة، بعدة طرق مختلفة. لكنه من الضروري أن نتجنب الاعتقاد، بتلك الفكرة الساذجة، أنه لأن يسوع يدعى "ابن الله" فإن هذا معناه، أن الله كان له طفل.

أحياناً تستخدم كلمة "ابن" بما تعنيه هذه الكلمة. لكنها أحياناً أخرى، تستخدم بغير تحديد، بمعنى "المنحدر من أو من سلالة كذا..."، لذلك فالمنحدرون من نسل إسرائيل، يُعرفون بأنهم "أولاد إسرائيل"، وكما قيل باللغة العبرية في العهد القديم "أبناء إسرائيل". ولكن في حالات كثيرة، لم تكن الكلمة تحمل في طياتها المعنى الحرفي للولادة. إن أهل مدينة صهيون، أطلق عليهم أبناء صهيون، وتلاميذ الأنبياء، أطلق

عليهم "بنو الأنبياء" (1مل20: 35). كما أن الفاسدين وعديمي المبادئ والأخلاقيات، أطلق عليهم "بنو بليعال" (قض19: 22). وعندما يستحق أحد الموت، يطلق عليه "ابن الموت" (1صم20: 31). وإن كانت هذه الأمثلة من العهد القديم، فإننا سنجد استخدامات مماثلة للكلمة في العهد الجديد.

لذا فلا غرابة أن نجد التعبير "أبناء الله"، ولا يتبادر إلى أذهاننا أن الله لا بد وأن له نسل. إن الحكام الأرضيين، أطلق عليهم "بنو العلي" (مز82: 6)، وذلك لأن السلطة الممنوحة لهم، هي من قبل الله. وهم يمارسون ذلك السلطان خاضعين لله. إن التعبير "أبناء الله"، يستخدم أيضاً ليصف الملائكة (اي1: 6). وهو نفس التعبير الذي استخدم للرجال والنساء، الذين هم موضوع محبة الله. فالتلاميذ المسيحيون الذين يتمتعون بامتياز التبني، قد تم قبولهم ضمن عائلة الله (مت5: 9، 45 وغل3: 26). لكن يجب أن نلاحظ أنه عندما يستخدم لقب "أبناء" ليصف المخلوقات، سواء كانت بشرية أو ملائكية، فإنه دائماً يستخدم بصيغة الجمع، أما عندما يقصد به الرب يسوع المسيح – الأفتوم الثاني في الثالوث – فإنه لا بد وأن يستخدم بصيغة المفرد. إن الاستثناء الوحيد لذلك، نجده في إنجيل (لو3: 38)، عندما جاء ذلك اللقب "ابن" بصيغة المفرد، قصد به الإشارة إلى آدم. والسبب في ذلك واضح؛ لأن آدم أخذ حياته مباشرة من الله، دون تدخل لأي أب بشري.

ابن الله :

عندما نأخذ في الاعتبار لقب "ابن الله"، الذي يراد به الرب يسوع المسيح (يو19: 7)، يجب أن نتحقق من أن كلمة "ابن" هنا، لا تستخدم بأي من المعاني التي وصفناها حتى الآن. إنه ليس الابن لأبيه، بمعنى أن له بداية، ولا لقب "ابن الله" مجرد لقب أطلق عليه، للتعظيم من شأنه، مثلما استخدم للحكام الأرضيين، وليس ليذكرنا أيضاً، أنه تجسد بطريقة خارقة للطبيعة، وليس بالتوالد العادي، مع أنه يذكرنا بذلك بالفعل (لو1: 35). كما أن هذا اللقب ليس أسلوباً غريباً للتعبير عن أنه كان أقرب الله من أي شخص آخر. إن استخدام هذا اللقب "ابن الله" يختلف عن ذلك كل الاختلاف. إن الأفتوم الأول في الثالوث يُدعى "الأب"، ليبين لنا طبيعة علاقته الأبدية بالابن. والأفتوم الثاني في الثالوث يُدعى "الابن"، ليبين لنا بدوره، طبيعة علاقته بالأفتوم الأول. إن لقب "الأب

والابن" هما لقبان عاديان، لكنهما يساعدان عقولنا البسيطة لكي تستوعب شيئاً عن العلاقة الأبدية، التي يتمتع بها هذان الأقتومان معاً.

إن هذين اللقبين يعنيان ضمناً، أن "الابن" هو ابن بسبب "الأب". لكنهما لا يستلزمان أن الأب هو الأب بسبب الابن. إن ما يوحي بنفس هذه الفكرة، التعبير: "الوحيد"، الذي يتكرر في الكتاب المقدس. "الوحيد من الأب" (يو: 1: 14)، "الابن الوحيد" (يو: 1: 18، 3: 16) وأيضاً "ابن الله الوحيد" (يو: 3: 18). إن الابن ترجع ولادته إلى الأب، وليس العكس. ولقد لقب مرتين "بكر"، الذي يتضمن أنه كائن قبل كل الخليقة (كو: 1: 15، عب: 1: 6). إن العلاقة بين الأب والابن، هي علاقة متفرّدة، إلا أن الكتاب المقدس، كتب بطريقة تساعد عقولنا البشرية، لتفهم هذه العلاقة، حيث عبّر عنها بمصطلحات بشرية مثل: الولادة والميلاد. وكتب أيضاً عن "الابن"، أنه رسم جوهر الله الأب، وبهاء مجده (عب: 1: 3)، فمن المستحيل للابن أن يكون كذلك بدون الأب. ولكن الله الأب لم يُذكر عنه أبداً، أنه رسم لجوهر الابن.

إن ما سبق ليس معناه أن الأب خلق الابن، وهذا ما يوضحه قانون الإيمان الأثناسيوسي: "مولود من الأب وحده. مولود غير مخلوق". إن الرب يسوع المسيح، ليس مخلوقاً، فلقد رأينا في الفصل الرابع أنه الله، كما أن الأب هو الله، فكلاهما هو الله. كل منهما هو الله الكامل بنفس الدرجة. كلاهما إله أبدي. كلاهما هو الله بنفس الكيفية. ولا يعني هذا أيضاً أن الله الأب اختار أن يعمل شيئاً؛ أو شيئاً لم يكن قد حدث قبلاً، لكنه حدث. إننا نتحدث عن شيء يحدث طبيعياً في اللاهوت، الآن ومنذ الأزل، وسيستمر إلى الأبد. ما لم تكن هذه هي حال العلاقة بينهما، لكان من الممكن أن نقول أن هناك تغييراً في اللاهوت. وهذا هو المستحيل بعينه، بالإضافة إلى أنه يناقض التعليم الواضح في الكتاب أن: "مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (مي: 5: 2، انظرمت: 2: 6، يو: 7: 42).

إن الله الأب لم يصنع الله الابن ليكون إلهاً؛ فهو إله في ذاته. ولكن بدون وجود الله الأب، لما كان هناك اقنوم في اللاهوت اسمه الابن. إن الابن هو من الأب. إن هناك شيئاً يحدث في اللاهوت، يشبه العلاقة بين التفكير والكلام. إن الابن هو التعبير عن

الآب؛ لذا فقد قيل عنه أنه: "الكلمة"، الذي كان عند الآب، والذي هو أيضاً الله منذ البدء (يو: 1 و 2). إن هذا هو الابن.

لم يكن ممكناً أن يكون كذلك، لولا الله الآب. والله الآب لم يجد تعبيراً آخر عن نفسه، سوى الله الابن. إن هذه هي العلاقة بين الأبنومين، الأول والثاني في الثالوث الإلهي.

وسوف أصيغ هذه الفكرة بكلمات أخرى. وسوف نقتبس مرة أخرى ما قاله لويس بركوف "إن التعريف التالي يختص بولادة الابن: إنها ذلك الفعل الأزلي والضروري، من الأبنوم الأول في الثالوث، والذي به كان هو الأساس لوجود الأبنوم الثاني، المساوي له في داخل الذات الإلهية. وجعل ذلك الأبنوم الثاني متمتعاً بكل جوهر اللاهوت، دون انشطار أو انسلاخ أو تغيير (اللاهوت النظامي ص 94).

الكتاب المقدس يتحدث :

يخبرنا الكتاب المقدس نفسه في الأسفار المتتالية عن هذه الحقيقة السرية التي ناقشها. إن الرب يسوع المسيح، هو بطبيعته إله. ولكن دعونا نفكر في الألقاب التي وُصف بها، فهو ليس فقط "كلمة الله" (يو: 1: 1) أو انه فقط "رسم جوهره" (عب: 1: 3)، بل انه أيضاً "كان في صورة الله" (في: 2: 2، 6كو: 4: 4). كذلك هو "صورة الله غير المنظور" (كو: 1: 15). إن نفس الفكرة الرئيسية، تفرض نفسها علينا باستمرار. لم يكن ممكناً للابن أن يكون كذلك، لولا الله الآب. فألوهية الابن، وألوهية الآب، تتسمان بترابط وانسجام جوهري.

ومن المهم الآن أن نؤكد على أن العلاقة بين الآب والابن، لم يكن لها نقطة بداية. انها كانت دائماً، ولا تزال كذلك. ولا يجب أن نعتقد أن يسوع لقب بالابن، منذ ولادته، كإنسان في هذا العالم. ويتضح لنا من (يو: 1: 14 - 18)، أنه بتجسده أمكن للإنسان، أن يرى الابن الوحيد للآب. لكنه كان هو الابن الوحيد قبل ذلك. لقد كان ابن الله المحبوب، موجوداً عندما خلق الكون (كو: 1: 14 - 20). فالعلاقة بين الآب والابن، لم تكن وضعا ظهر مؤخراً.

بنفس الأسلوب نجد في (رو: 1: 3 ، غل: 4 : 4)، أن الرسول بولس يتحدث عن كون المسيح ابناً لله، قبل أن يتحدث عن ولادته. لقد كان ابن الله قبل أن يأتي في شبه جسد الخطية (رو: 8: 3)، وهو أيضاً ابن الله، قبل أن يرسله الله للعالم (يو: 3: 16 ، 1يو: 4 : 9).

وتوجد فقرة أخرى شديدة الأهمية، خاصة بهذا الموضوع، مدونة في (عب: 1 : 5 – 8). إن الرب يسوع المسيح كابن، قد أعلن عنه أنه الله، وأنه سيملك على عرش أبدي. انه هو ذلك البكر، الذي جاء إلى العالم. هذه العلاقة بالله الأب لم يكن لها بداية قط؛ فبنوته أزلية. إنها علاقة فريدة، وأبعد ما تكون عن إدراكنا. فليس أحد يعرف الابن إلا الأب ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له. (مت: 11: 27).

وفي (يو: 5: 16 – 47) فإننا نجد يسوع يتحدث باستفاضة، عن علاقته الفريدة مع الله الأب. وهذه الأعداد يجب أن تكون أمامنا ليضع دقائق تالية. وإذا ما رجعنا للعدد (18) في اللغة اليونانية، فإن يسوع يتحدث إلى الله داعياً إياه: "أبي". وبكلمات أخرى، فإن الله كان أباً له، بطريقة تختلف عن أبوته لأي شخص آخر. وكانت هذه الكلمات مفاجأة لليهود السامعين، الذين اغتاضوا منه بشدة؛ لأنه بهذه الطريقة يجعل نفسه معادلاً لله (17ع – 18). ومن الملفت للانتباه، أن إدراك يسوع بولادته الأزلية، لم يقلل من إدراكه أنه مساو لله. ويمضي يسوع ليحدثنا عن أنه برغم أنه عمل نفس الأعمال، التي يعملها الأب، إلا أنه لم يقدر أن يفعل أي أمر بدون الأب (ع19 – 24). فهو يستطيع أن يدين فقط، لأن الأب قد أعطى الدينونة للابن (ع22). ولكن هذا لا يعني أن مكانته كانت أقل من الأب، إطلاقاً. فهو يستحق الكرامة التي لله الأب (ع23)، فلو لم تكن للابن هذه الكرامة، ما كان للأب أيضاً أن يأخذ الكرامة التي يستحقها. لذلك فهو كان مدركاً لبنوته، ومدركا أن الأب قد أرسله، وفي نفس الوقت كان مدركاً أنه مساو للأب، وفي اتحاد معه، الأمر الذي يفوق إدراكنا.

وفي هذه الفقرة أيضاً نجد يسوع يعلن: "أن له حياة في ذاته كما أن الأب له حياة في ذاته". إنه ليس مثلنا، فهو لم يأخذ حياته من شخص آخر؛ لأن له حياة في ذاته، ومع

ذلك فهو يقول، إن له حياة في ذاته؛ فقط لأن الآب أعطاه هذه الميزة (ع26). ومع أن الابن له هذا الامتياز الإلهي في إقامة الموتى (ع25)، إلا أنه يقول: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً" (ع30). إن مصدر القوة التي يمارسها، هو الآب الذي أرسله إلى العالم، والذي يجب أن يخضع هو "الابن" لمشيئته (ع30 ، ع36). لقد جاء مستخدماً ذلك السلطان الإلهي (ع40). لقد كان الرب يسوع هو محور الكتاب المقدس (ع39، ع46)، ومع ذلك فهو لم يأت باسم نفسه، بل باسم الآب (ع43). إن هذه الفقرة الكتابية كلها، تحدثنا عن أن يسوع هو الله بذاته وفي ذاته. لكنه من الواضح أيضاً أن الابن لم يكن هكذا لو لم يكن لأجل الآب.

وفي فقرة أخرى مشابهة، نجد يسوع يتحدث مرة أخرى عن مجيئه باسم الآب (يو10: 22 – 42)، وعن حقيقة أن أولئك الذين جاء لخلاصهم هم للابن؛ فقط لأن الآب هو الذي أعطاه إياهم (ع29). إنه في العالم، فقط لأن الآب هو الذي أرسله (ع36). إن هذه هي لغة الخضوع. إنها توضح لنا أن الابن يخدم الآب، لكن في نفس الفقرة، نجد يسوع يشير إلى ألوهيته؛ مما دفع اليهود أن يفكروا في قتله للمرة الثانية (ع31). إنهم اتهموه بأنه يدعى أنه الله (ع33)، ولم يكونوا مخطئين! فإن هذا بالضبط ما كان يسوع يشير إليه. لقد قال أنه يستطيع أن يعمل الأعمال، التي لا يستطيع أحد أن يعملها سوى الله، فهو يعطي الحياة الأبدية (ع28). وقد ساوى نفسه بالله عندما قال، أنه لا يمكن لأحد أن يخطف من يده، أولئك الذين خلصهم، كما أن أحداً لا يقدر أن يخطفهم من يد الآب (ع28 – 29). لقد أعلن عن نفسه أنه ابن الله، لكنه أيضاً كان هو والآب واحد (ع30 ، ع36). فهو لم يكن يقصد أنه واحد مع الآب، بالمفهوم البشري للعلاقة بين الأب والابن، حيث أن الأب هو مصدر حياة الابن، وسبب وجوده، غير أنه شخص آخر غير الآب. وكذلك الحال مع "ابن الله" بنفس المفهوم الذي نستخدم به كلمة شخص في هذا الكتاب. لكن مثل ذلك الشخص لا يمكنه أن يقول "الآب فيّ وأنا في الآب" (ع38). إن اقنوم الابن يختلف عن اقنوم الآب. إن الابن خاضع للآب، وقد أرسل إلى العالم بواسطة، لكنه في نفس الوقت، واحد مع الآب، وهو أيضاً الله كما أن الآب هو الله. ليس هذا فقط، بل إن كلا منهما في الآخر. إن هذا هو سر الولادة الأزلية للابن. إنه سر "ابن الله" المولود من الآب قبل كل العالمين، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، (قانون الإيمان النيقوي).

مشكلات يجب أخذها في الاعتبار :

بالطبع مثل هذا التعليم، يثير العديد من التساؤلات في أذهاننا. ويجب أن نكون أمعاء ونقول، إننا لا نستطيع أن نجيب على كل هذه التساؤلات. إننا نتابع سوياً، ما يقوله لنا الوحي المقدس، لكننا لم نقترّب من فهم كيفية وجود ذلك. فكيف يُرجع الابن الفضل للآب، في كل ما هو عليه، وفي نفس الوقت يكون هو نفسه إلهاً، بذاته وفي ذاته؟ كيف يُرجع الابن الفضل للآب، في كل ما هو عليه، وفي نفس الوقت لا يكون أدنى منه؟ إن المنطق البشري، لا يفلح أبداً في حل هذه القضية. إن كل هذه الصعوبات تجعل غير المؤمنين يسخرون من ذلك. إنهم يعتبرون أن كل هذه الحقائق ضد المنطق البشري، وبالتالي فإنها خرافات وسخافات. إنهم لا يصدقونها بل يرفضونها. وعلى النقيض من ذلك، فإن المؤمن يرى أنها أمور، فوق وأعلى من مستوى العقل البشري؛ حيث أنها تختلف كلياً عن الأمور التي يمكن إدراكها.

ولكن توجد بعض المشكلات التي يمكن أن نناقشها هنا؛ حيث انها تظهر من إعداد كتابية فردية. فما نجده في (عب 1: 5)، وكذلك الكلمات التالية الموجودة في (مز 2: 7)، تشير إلى الرب يسوع المسيح: "اني اخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك". ويبدو هذا الجزء وكأنه يوحى، بأن الرب يسوع يمكن أن يتذكر، متى أصبح ابنا لله. فلو كان الأمر كذلك، لما أمكننا أن نؤمن بولادته الأزلية. ولكن إن كان المسيح يشير إلى شيء أزلي ومستمر، فما الذي كان يمكن أن يقوله خلاف ذلك؟ وهذا بالفعل ما يعلمه باقي الكتاب المقدس. فيجب أن نتعقل، ونفسر هذا الشاهد في ضوء الأجزاء الكتابية الأخرى، بدلا من أن نعمل العكس.

وبنفس الطريقة نجد ما جاء في (رو 1: 4 ، اع 13: 32 – 33)، وكأنه يوحى لنا، أن يسوع عُيّن كابن الله بواسطة القيامة. لكن لا يمكن أن يكون هذا ما قصده بولس الرسول في (رو 1: 4)؛ لأنه يمضي بنا في (رو 8: 3) ليقول أنه كان ابن الله، قبل أن يأتي في الجسد. ونحن أيضاً نحتاج هنا أن نتذكر (رو 1 : 3)، ففي هذا العدد يتحدث بولس الرسول عن يسوع "كابن" قبل أن يتحدث عن ميلاده. ففي العدد الرابع يقول ببساطة، إن القيامة وضّحت طبيعته الأبدية.

وفي (اع13: 33) فإننا نجد أن الرسول بولس، استخدم كلمة "أقام" للمرة الأولى هنا، ليشير إلى أنه أقامه عند ميلاده، وعندما تستخدم للإشارة إلى القيامة فإنها تتبع دائماً بعبارة "من الأموات"، ونحن نستطيع أن نجد لها مستخدمة بهذه الطريقة في (اع34). إن الرسول بولس يعلمنا هنا، أن الأقتوم الذي وُلد، هو نفسه ذلك الذي قيل عنه أنه: "مولود من الله"، فلم يكن خائفاً أن يقترب من عقيدة الولادة الأزلية للابن، في كرازته بالإنجيل.

الانبثاق الأزلي للروح القدس

لقد رأينا مما سبق، أن ألوهية ابن الله، وألوهية الأب، تتسمان بترابط وانسجام جوهري. وبنفس الطريقة، فإن ألوهية الروح القدس، وألوهية كل من الأب والابن، تتسم بترابط وانسجام جوهري .

إن الصورة مكتملة أمكن تلخيصها في قانون ويستمينستر، عندما يذكر: "أنه يوجد ثلاثة أقانيم متحدة في اللاهوت، لهم نفس الجوهر والقوة والسرمدية: الله الأب والله الابن والله الروح القدس". الله الأب غير مولود وغير منبثق، والله الابن مولود من الأب قبل كل الدهور، أما الروح القدس فهو ينبثق من الأب والابن سرمدياً. وهكذا نرى اننا نقول عن الرب يسوع المسيح، انه مولود من الله، وتحدث عن الولادة الأزلية للابن، عندما نتحدث عن مصدر وجوده، بينما نقول عن الروح القدس أنه ينبثق (يو: 15: 26). والاصطلاح المستخدم لمصدر وجوده هو "الانبثاق الأزلي للروح القدس". وأحياناً يطلق على انبثاق الروح القدس كلمة "spiration"، وهذه هي صفته الاقنومية التي تطلق عليه، ولا يمكن أن نطلقها على الأب أو الابن.

إن ما نتحدث عنه إذن هو: " الفعل الأبدي والأساسي للأقنوم الأول والأقنوم الثاني للثالوث الإلهي، وهذا الفعل هو الأساس والمصدر لوجود الروح القدس، ووضع الأقنوم الثالث (الروح القدس) في نطاق الجوهر الإلهي دون أي انقسام أو انعزال أو تغيير " (لويس بيركوف "اللاهوت النظامي" ص97).

إن هذا الأمر أعظم من أن يُستوعب، لكن يجب أن يكون واضحاً لنا، أننا نتحدث عن شيء شبيه جداً بالحق، الذي ذكرناه في الفصل السابق، مع أنه ليس نفس الشيء. ذلك لأن هناك بعض الاختلافات الهامة. "فالولادة" هي عمل الأب وحده، أما "الانبثاق" فهو عمل الأب والابن معاً. وعن طريق ولادة الابن الأزلية؛ تمكن من مشاركة الأب في فعل "الانبثاق". أما الروح القدس فلم يكتسب شيئاً مشابهاً نتيجة لانبثاقه. فمنطقياً - وليس بحسب الترتيب الزمني، لأن كل ما يحدث في ذات الله هو خارج نطاق الزمن - أن تأتي

البنويّة قبل الانبثاق. فكما ان "بنوّة" الابن بنوّة أبدية للأب، دون أن يكون أدنى منه، كذلك فإن الروح القدس منبثق عن الأب والابن منذ الأزل، دون أن يكون أدنى منهما. فألوهية الروح القدس، تتسم بترابط وانسجام جوهرى، مع الأب والابن.

هذه هي ببساطة، عقيدة الانبثاق الأزلي للروح القدس. ولكن كيف وصلت كنيسة القرون الأولى إلى هذه النتيجة؟ وهل هذه العقيدة هي مجرد اختراع، لعدد من اللاهوتيين القدامى؟ بالطبع لا. إنه الحق الذي أعلنه الكتاب المقدس.

الروح القدس :

لقد رأينا في الفصل الخامس، أن الروح القدس هو اقنوم، وهو الله نفسه، ولكنه ليس هو الأب ولا هو الابن. انه من الصعب أن نكرر كل ما قلناه في ذلك الفصل، ولكن التعليم الذي قدّم فيه، نحتاج ان نتذكره جيداً، ليساعدنا في فهم الأجزاء التالية. فإن كنا نعرف أن الله هو روح (يو: 4: 24)، وكل ما يقال عن الله يمكن أن يقال على أي من الأقانيم الثلاثة، فلماذا يطلق على الأقنوم الثالث وحده لقب "الروح"؟ لا بد أن هناك سبباً لأن يلقب هو فقط، دون الأب والابن بلقب "الروح". إن الأب هو الله والله روح. الابن هو الله والله روح، ولكن الأقنوم الثالث في اللاهوت، هو الوحيد الذي يحمل لقب "الروح القدس".

إن الكلمة الإنجليزية "روح spirit"، تأتي أصلها من كلمة لاتينية "spiritus"، التي تعني "نفس"، "ريح"، "هواء"، "حياة"، "نفس". وهذه الكلمة تأتي بدورها من الفعل "spiro"، والذي يعني يتنفس. إن الأقنوم الثالث في الثالوث، يُدعى "الروح" لأنه هو الأقنوم الذي "تنفسه" الأب والابن. إن هذا اللقب الفريد، يشير إلى طبيعة العلاقة، بينه وبين الأقنومين الآخرين في الثالوث، ويوضح أيضاً خصائصه. إن لقبى "الأب" و"الابن"، يوضحان طبيعة العلاقة المتبادلة بين الأقنوم الأول والثاني. وبنفس الكيفية استخدمت العبارات: "الروح" و"روح الله" و"روح الابن" و"روح الحق" الذي من عند الأب ينبثق (يو: 15: 26)، للأقنوم الثالث، لتوضح طبيعة العلاقات الأبدية، بين الأقنوم الثالث والأقنومين الأول والثاني. وبالطبع تسميته بالروح القدس، سببها أنه مصدر كل قداسة وطهارة وجمال، اينما وجد في هذا الكون. الأمر الذي يخرج شرحه عن مجال هذا الكتاب.

روح الأب والابن:

في (يو 15: 26) نجد أن الرب يسوع المسيح يقول: "إن الروح القدس يأتي من الأب"، وهذه الحقيقة قد ذكرها أيضا في (يو 14: 16 - 17).

ويمضي بنا ليصفه بأنه: "روح الحق"، الذي من عند الأب ينبثق. ليس هذا إلا واحداً من العديد من الشواهد، التي تكشف لنا عن طبيعة العلاقة بين الروح القدس والأب. إن أحد كتاب المزامير (30: 104) يخاطب يهوه قائلاً: "ترسل روحك". فالروح القدس له هذه العلاقة مع الأب، بحيث أنه يُدعى: "روح الله" (1كو 2: 11)، وأيضاً "روح الله الحي" (2كو 3: 3)، و"روح الرب" (2كو 3: 17)، و"روح المجد والله" (1بط 4: 14).

ولكن بإعادة النظر إلى (يو 15: 26)، نجد يسوع يعد بـ: "المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من عند الأب". فما يذكره الوحي المقدس عن علاقة الروح القدس بالأب، يذكره أيضاً عن علاقة الروح القدس بالابن. لذلك ففي (أع 16: 6 - 7) نجد أن بعض الترجمات الحديثة، تترجم الروح القدس في الترجمة اليونانية التي جاءت في (أع 16: 6 - 7) إلى روح يسوع. وفي شواهد كتابية أخرى يشار إلى الروح القدس بأنه "روح يسوع المسيح" (في 1: 19)، و"روح المسيح" (1بط 1: 11).

وفي العديد من المناسبات، يتضح في العدد الواحد، أن الروح القدس ينبثق من الأب والابن معاً، ويعمل لأجلهما كليهما. وعند الحديث عن "الروح" في (رو 8: 9)، نجد أن الرسول بولس، يتحول تحولا طبيعياً من القول: "روح الله" إلى القول: "روح المسيح"، مما يوضح أنهما مصطلحان متماثلان. وفي (غل 4: 6) عندما يقول الرسول بولس أن: "الله أرسل روح..."، يصر على أن الروح الذي يتحدث عنه هذا، هو "روح ابنه".

ولكن لا يوجد شاهد كتابي، يتضح فيه هذا الأمر، بقدر ما يتضح في حديث الرب الأخير لتلاميذه قبل الصلب. فمع أن الروح يأتي من الأب؛ لكنه يأتي لأن الابن هو الذي

يطلب ذلك (يو: 14: 16). فعندما يرسله الآب، فإنه يرسله باسم الابن (يو: 14: 26). ولكن الابن أيضاً يرسل الروح (يو: 16: 7) بالرغم من التأكيد على أنه يرسله من عند الآب، وأن الروح ينبثق من الآب (يو: 15: 26). وباستثناء هذه العبارة الأخيرة "الذي ينبثق من الآب"، فإن الكتاب المقدس يذكر نفس الأمور المختصة، بعلاقة الابن بالروح القدس كما يذكرها فيما يخص علاقة الآب بالروح القدس. إن الروح لا يرسل نفسه؛ فإنه "الروح" الذي خرج من عند الآب والابن، وفي كل ما يعمل، فهو يُظهر الآب والابن، وله نفس سلطانهما (يو: 16: 14 - 15 ، 15: 26 ، 14 : 9).

جدل قديم :

من أشهر المجامع التي عُقدت في تاريخ الكنيسة الأولى، كان مجمع نيقية، الذي عُقد سنة 325 ميلادية. إن هذا المجمع، عرّف عقيدة ألوهية المسيح، بأكثر دقة ممكنة. أما تعريفه لألوهية الروح القدس، فقد كان به بعض الغموض. فكل ما فعله، كان إعلان إيمانه بالروح القدس. ولكن بعد ذلك بقليل، ظهرت بدعة مكيدونيوس، الذي أنكر ألوهية الروح القدس، عن طريق رفضه أن يقرّ، أن الروح القدس هو الله. ولمقاومة هذه البدعة، أضاف مجمع قسطنطينية سنة 381 ميلادية إلى قانون الإيمان، العبارة التالية: "أومن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب..". ومع ذلك فتلك الإضافة لم ترض الجميع، فالكنيسة اللاتينية "التي تعرف باسم الكنيسة الغربية" كانت أكثر اهتماماً بالمحافظة على التعليم الواضح القائل: "إن الروح القدس هو روح الابن، كما أنه هو نفسه روح الآب". وكان ذلك في الغالب بسبب تأثير أوجستين، الذي كان في هيبو. لقد أصروا على أن علاقة الروح القدس بالابن، هي نفسها علاقة الروح القدس بالآب. ولذلك ففي مجمع توليدو عام 569 ميلادية أضافوا الكلمة اللاتينية "Filioque" إلى الترجمة اللاتينية لقانون الإيمان القسطنطيني. إن العبارة التي ذكرناها منذ قليل، أصبحت "أومن بالروح القدس. الرب المحيي المنبثق من الآب والابن".

إن الكنائس اليونانية "والمعروفة باسم الكنيسة الشرقية"، قاومت هذه الإضافة بشدة. ففي البداية وافقت على أن يكون هناك حل وسط بين الطرفين، بحيث يكون التعديل: "المنبثق من الآب خلال الابن"، ولكن حتى هذا الحل رُفض في النهاية من كلا الطرفين. إن قانون الإيمان النيقوي الحالي، هو في الواقع قانون الإيمان الذي نتج عن مجمع

القسطنطينية، الذي عُذّل في مجمع "توليدو". لقد قبلت جميع الكنائس الرومانية الكاثوليكية، وجميع المذاهب البروتستانتية، هذا القانون. ولكن حتى الآن فإن الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية وبعض الكنائس التقليدية الشرقية، ترفض إضافة الـ "Filioque"، ولازال الجدل مستمرا.

ولكن لماذا ترفض الكنيسة الشرقية ما يظهر جليا أنه التعليم الواضح للكتاب المقدس؟ ذلك لأنها تعتبر أن ذلك، يجعل من الابن "مصدرا ثانيا للذات الإلهية"، بالإضافة إلى الأب. فبالنسبة لهم، هذا لا يتمشى مع حقيقة أن هناك خضوعاً من الابن للأب. هذه الحقيقة سوف نتناولها بالتفصيل في الفصلين التاليين. إن الاعتقاد بأن الأب والابن كليهما "مصدر الألوهية"، يبدو لهم وكأنه يهدد التناسق الداخلي للثالوث الإلهي. لكننا قد رأينا مراراً وتكراراً، أن هناك حقائق في كلمة الله، لا يستطيع العقل البشري ان يسبر غورها كاملة. إن هذه حقيقة أساسية وهامة جداً في كل ما يتعلق بعقيدة الثالوث. إن محدودية عقولنا، ليست مبرراً كافياً، لنرفض الحقائق التي قد أعلنها لنا الله. إن الكلمات التي تحدث بها الرب يسوع في إنجيل يوحنا الأصحاحات 14 – 16، لا توحى لنا على الإطلاق، ان الانسجام الداخلي للثالوث، قد أصابه أي خلل. فإن الأب يرسل الروح، والابن يرسل الروح. إن الأب يرسل الروح بناء على طلب الابن، ويرسله باسم الابن، والابن يرسل الروح من عند الأب. هذه لغة الانسجام الفريد الذي لا مثيل له. إن الروح القدس رابط موحد في اللاهوت، ينبثق من الأب والابن على حد سواء، وكما هو روح المسيح فهو أيضاً روح الله.

الثالوث المبارك

ببرهان الكتاب المقدس، فإننا نصل إلى عقيدة الثالوث. فلا يوجد سوى إله واحد، لكن هناك ثلاثة هم الله: الله الآب والله الابن والله الروح القدس، وكل منهم متفرد عن الآخرين، بالخصائص الأتومية التي تميزه. فأقنوم الآب وحده، هو الذي ولد الابن، وهذا الابن فقط، هو الذي يقال عنه مولود. والانبثاق صفة تميز اقنوم الروح القدس. بذلك نكون قد تعرفنا تقريباً، على كل النقاط الرئيسية في عقيدة "الثالوث"، ولم يتبق سوى نقاط قليلة، تحتاج أن نوضحها. وها نحن بصددنا الآن.

الثالوث وجودياً* " The Ontological Trinity " :

توجد كتب أكثر تعقيداً من هذا الكتاب، تتحدث عن الثالوث وطبيعة وجوده، وأحياناً عن "الثالوث في جوهر وجوده"، وهذا ببساطة يعني أنه في اللاهوت يوجد ترتيب محدد. فالآب أولاً، ثم الابن ثانياً، والروح القدس ثالثاً. وهذا ليس معناه، أن أي أقنوم منهم وجد قبل الآخر؛ فكل أقنوم منهم هو الله منذ الأزل. كما أن هذا لا يعني، أن أحد الأقانيم في الرتبة الأعلى، والثاني أقل والثالث الأدنى. فكل أقنوم هو الله بذاته، والأقانيم الثلاثة متساوية؛ وهذا يرجع ببساطة إلى العلاقة الأزلية، بين الأقانيم الثلاثة في اللاهوت.

الآب لم يولد من أقنوم آخر، ولم ينبثق من أقنوم آخر. وهو الآب للابن، الذي ولده منذ الأزل. وينبثق منه الروح القدس، فهو روحه. وهو الذي يرسل ويعمل خلال الابن، وأيضاً خلال الابن مع الروح القدس، لكن العكس ليس صحيحاً. والابن هو المولود الوحيد من الآب منذ الأزل، وقد أرسله الآب، وهو الذي يعلن الآب. والابن أيضاً يرسل الروح القدس، ويعمل من خلاله، فهو روحه، بينما العكس ليس صحيحاً.

الروح القدس ينبثق منذ الأزل من الآب والابن، ويعمل إرادة الآب والابن، ويعلن عن كل منهما.

* اصطلاح يقصد به كينونة الأقانيم والعلاقة بينهم.

كل من الأقانيم الثلاثة على حد سواء هو الله؛ لذلك فهم متساوون في الكرامة، والقوة، والمجد. ولا يوجد أقنوم منهم، نستطيع أن نقول عنه، أنه الله بدرجة أكبر من الآخر، أو أنه أكثر حكمة أو قداسة، من الأقنومين الآخرين، أو أن أيًا منهم في مكانه أقل. بكلمات أخرى، لا توجد لهم رتب مختلفة. ولكن طبقاً للعلاقة القائمة بين الأقانيم، يوجد هذا الترتيب المحدد، وبهذا المفهوم فقط، فالأمر يتضمن نوعاً من الخضوع. يوجد ترتيب، لكن لا يوجد فرق. هناك ترتيب في اللاهوت، لكن لا توجد رتب. وهذا هو ببساطة ما نقصده، عندما نقول: "الثالوث وجودياً". فهذه هي الطريقة التي توجد عليها الأقانيم الثلاثة في اللاهوت.

منظومة الثالوث * " The Economic Trinity " :

إن هذه العلاقات الموجودة في اللاهوت، تنعكس على طريقة تعاملات الله، وهذا هو المقصود "بمنظومة الثالوث". فكل ما يفعله الله، ينبع من الآب فهو الأول، ثم يمر خلال الابن فهو الثاني، ويتم بتأثير الروح القدس وهو الثالث. فكل أعمال الله، هي أعمال الأقانيم الثلاثة مجتمعة. صحيح أن بعض النصوص الكتابية تتحدث عن عمل الخلق، على أنه عمل الآب بصفة أساسية، وعن الخلاص على أنه عمل الابن، وعن التقديس على أنه عمل الروح القدس. ولكن بنظرة شاملة، لكل ما يقوله الكتاب المقدس، فإننا نجد أن الآب، هو السبب في كل أمر، والابن هو الوسيط، والروح القدس هو المنفذ والمتمم لهذا الأمر. ولكن يجب أن نؤكد مجدداً، أن كلا من الأقانيم الثلاثة، متساو مع باقي الأقانيم، فلا يوجد بينهم، من هو أسمى أو أدنى مقاماً، من باقي الأقانيم. ولكن يوجد هذا الترتيب المتناسق بين الأقانيم، لتنفيذ أي أمر من الأمور. فهذه هي الطريقة التي يعمل بها الله.

يمكن أن نجد ذلك بوضوح، إذا تأملنا عمل الله في الخلق: "في البدء خلق الله السموات والأرض" (تك1: 1) ولكن بواسطة ابنه: "الذي به أيضاً عمل العالمين" (عب1: 2). لكن من الواضح أن الروح القدس، هو الذي أنجز العمل (تك1: 2)؛ فهو يوصف دائماً بأنه عامل الخلق (مز104: 30). فالله الأب خلق العالم، بواسطة ابنه، عن طريق الروح القدس.

* اصطلاح يقصد به شرح الأدوار بين الأقانيم الثلاثة والنظام الذي يحكم العلاقة بينهم

ونرى ذلك أيضاً في عمل الله للخلاص. فالله الأب منذ الأزل أعطى شعباً مختاراً للابن، وأرسل الابن إلى العالم ليخلصهم (يو6: 37 – 40). إن الله الابن، هو الذي قدم للموت لأجل أثم شعبه، وأقيم ثانية لتبريرهم (رو4: 24 – 25). وعمل الله الروح القدس، هو أن يمتنعهم بالامتيازات، التي اكسبهم إياها المسيح (1تس5: 1 – 10). فعمل الروح القدس يتبع عمل الابن، كما أن عمل الابن يتبع عمل الأب. فالأمر لا ينحصر في وجود ترتيب محدد داخل اللاهوت، ولكن هذا الترتيب، ينعكس خارج اللاهوت، في الطريقة التي يعمل بها الله. فعندما نتحدث عن منظومة الثالوث، فنحن نستدعي ذلك الحق إلى الأذهان.

بدون تشبيهات :

إننا لم نشرح سرّ الثالوث الذي يفوق الفهم. لكننا استطعنا أن نحصر كل ما قاله الكتاب المقدس عنه. لكن الصعوبة تكمن، في فهم حقيقة أن كل أقنوم هو الله بذاته، وفي نفس الوقت له هذه العلاقة، بكل من الأقنومين الآخرين. إن هذه الصعوبة ستبقى ولن تزول؛ لأنها أعظم من إمكانية استيعابها بالعقل البشري.

منذ القرن الأول، وحتى وقتنا الحالي، نجد أن عدداً كبيراً من الأشخاص، حاولوا أن يكتشفوا ويستخدموا تشبيهات كثيرة ومختلفة، لشرح وتبسيط عقيدة الثالوث: مثلاً العقل والمشاعر والإرادة في الإنسان، أو الشمس التي لها أشعة

وحرارة وضوء.... الخ. وكل من هذه التشبيهات، لا تخلو من قصور؛ فكل منها يعلن ما هو أقل، وأحياناً أكثر أو مختلف، عما قاله الكتاب المقدس عن هذا الحق. فيجب علينا مواجهة هذه الحقيقة. إن عقيدة الثالوث، لا يوجد لها أي تشبيهات على الإطلاق، فلا توجد طريقة يمكن بها توضيح هذه العقيدة ولا يوجد شيء يشبهها في أي مكان. إنه أول وأعظم سر؛ فكيف يمكن للمحدود، أن يصف ويصور الله غير المحدود؟ إن ما ناقشناه هنا، هو الكيان الإلهي، وإذا أردنا تعريفه، فهو فوق مستوى الإدراك البشري.

أفضل الطرق للتوضيح :

لا يمكن أن نفهم الحق المتعلق بالله، دون أن ندرس كلمته. وبالتالي فنحن لن نستطيع مساعدة الآخرين، على الإيمان بذلك السر، ما لم يكونوا مستعدين، لسماع تفسير الكتاب المقدس لهذا السر، أو أن يقرأوه بأنفسهم في الكتاب المقدس. فإذا أتيت لك فرصة الحوار، مع أي صديق لديه تساؤلات بهذا الخصوص، فيمكنك أن تتبع الخطوات التي اتبعناها في هذا الكتاب، مستعينا بالكتاب المقدس. وإذا لم يسمح الوقت بمناقشة طويلة، فليس أمامك إلا أن تقدم لأصدقائك، أحد الشواهد الكتابية، التي سبق مناقشتها في الفصل السادس. فهذا سيساعدهم، على الأقل أن يبدأوا في التفكير في هذا الموضوع. والشاهد المقصود بذلك هو (مت 28: 19)، حينما أمرنا الرب يسوع، أن نذهب ونتلمذ جميع الأمم، "ونعمدهم باسم الأب والابن والروح القدس". لم يقل بأسماء الأب والابن والروح القدس، لكنه قال باسم، وهذا يوضح أنه يتحدث عن كائن واحد. إنه يوجد إله واحد فقط. فهو حريص على أن يوضح أن لكل أقنوم ما يميزه عن الأقنومين الآخرين، بأن ينسب الاسم، لكل من الأب والابن والروح القدس. إنه يوجد إله واحد، وثلاثة هم جميعاً الله. فهم واحد بمفهوم، وهو ثلاثة بمفهوم آخر مختلف تماماً. الأب هو الأقنوم الأول والابن هو الأقنوم الثاني والروح القدس هو الأقنوم الثالث. وبالطبع هناك أمور كثيرة أخرى، يمكن الحديث عنها كما رأينا، ومع ذلك فهذا هو جوهر عقيدة الثالوث.

تحذير من الضلالات

سبق وأن تحدثنا أنه عبر تاريخ الكنيسة، كانت هناك محاولات عديدة لشرح عقيدة الثالوث، بطريقة يسهل فهمها. فأحياناً حاولوا تبسيطها، بأسلوب يسهل على الناس تصديقها، لكنهم في كل مرة، لم يتوخوا الدقة، في تقديم ما يعلمه الكتاب المقدس. كانت النتيجة، عقيدة للثالوث ليست كتابية. وعندما نحاول تدعيم عقيدة الثالوث، في العصر الحالي، فإن نفس الخطر يهددنا؛ لذا فمن الأفضل أن يشتمل هذا الفصل، على حصر موجز للضلالات الرئيسية، التي وقع فيها السابقون. هذا يعني أن نتخذ الخطوات اللازمة، لتجنب خطر الوقوع فيها. تقع الضلالات أساساً في ثلاث مجموعات رئيسية، (ولقد سبق التنويه عن هذا الأمر في الفصل السادس لكننا سنتناوله هنا بأكثر تفصيلاً) وكل مجموعة منها تمثل هجوماً، على أحد المقومات الأساسية لعقيدة الثالوث، وتؤدي إلى إفساد الحق أو إنكاره:

1- الثالوث ثلاثة آلهة Tritheism :

وهذا هو الفشل في التمسك بوجود إله واحد فقط. لقد تمسك اليهود بإصرار، بوحداية الله. هذا الإصرار، انتقل إلى الكنيسة المسيحية، فكان من النادر أن يفوت أحد المسيحيين، إدراك هذا الحق. ولكن تكرر ظهور هؤلاء المدّعين بوجود ثلاثة آلهة، على مسرح التاريخ. ومن أشهر هؤلاء (جون اسكوا سناجز القسطنطيني) و(فيلوباناس السكندري)، اللذان عاشا قرب نهاية القرن السادس. لقد اعتقدا بوجود ثلاثة آلهة، لهم نفس الطبيعة، ولكنهم مختلفون ومنفصلون عن بعضهم البعض. ثم جاءت طائفة المورمون الحديثة، فلم تكف بالتعدد إلى ثلاثة آلهة، بل اعتقدت بوجود آلهة كثيرة. وهذا الاعتقاد يسمى: "تعدد الآلهة polytheism".

لو أننا نتذكر الحق المذكور في الفصل الثاني، ونتمسك به، فلن نقع في أي من الضلالتين: "وجود ثلاثة آلهة أو تعدد الآلهة"، ومع ذلك ربما يصدق القول، بأن كثيرين من المسيحيين، يميلون – في أعماق قلوبهم – إلى الاعتقاد في الله بأنه ثلاثة، أكثر من ميلهم إلى الاعتقاد بوحدايته. فهم يسهل عليهم التفكير فيه كثلاثة، أكثر من تفكيرهم فيه، كواحد في ثلاثة وثلاثة في واحد. مثل هؤلاء لا يُنتظر أن يصبحوا

مؤمنين بثلاثة آلهة "Tritheists" بالمفهوم التام، لكنهم يرعوا ضلالة في قلوبهم، تبعدهم عن أن يعتقدوا في الله، كما ينبغي أن يكون، وهذا يعني بكل تأكيد، أن عبادتهم لله وصلواتهم، ليست كما ينبغي أن تكون.

2- التوحيد المحض " Monarchianism :

وهذا هو الفشل في التمسك بوجود ثلاثة اقانيم، كل منهم هو الله. بالإضافة إلى الضلالات التي ظهرت على مر التاريخ، فإن العصر الحاضر يشهد تزايد عدد الأشخاص، والحركات والشيع، الذين يؤمنون بهذا الاعتقاد (التوحيد المحض). فهم يعتبرون أن أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، أقل من أقنوم الأب. وكثيراً ما تحدثوا عن الابن والروح القدس، على أنهما ليسا الله على الإطلاق. والنقاش محسوم حول هذه القضية، فنحن يجب أن نتمسك بأن الرب يسوع المسيح، هو الله، بنفس الكيفية التي بها الأب؛ فهو مساو للأب في الجوهر وفي السرمدية. ونفس الأمر بالنسبة لأقنوم الروح القدس.

ولقد ظهر هذا الاعتقاد الخاطيء، في بداية القرن الثاني، عند ظهور "الغنوسيين" والذين اعتقدوا بأن الله، جوهر واحد وأقنوم واحد، ومنه انبثق كائنان إلهيان أقل منه، وذلك ليتعامل مع العالم بواسطتهما. هذان الكائنان أطلق عليهما "aeons"، والمسيح هو من أعظم هذه الكائنات. في نفس هذه الفترة الزمنية وُجدت طائفة "الإبيونيت Ebionites"، التي أعلنت بأن المسيح هو مجرد إنسان عادي، وأن الروح القدس، ما هو إلا تأثير إلهي مجرد. وهذا هو نفس الاعتقاد، الذي تبنته طائفة تدعى "السوسينانيون Socinians"، التي انتشرت في أوروبا خلال القرن السادس عشر، وأيضاً طائفة "المتوحدين Unitarians". ولازال هذا الاعتقاد موجوداً، حتى عصرنا هذا. وخلال القرن التاسع عشر، حينما بدأ الهجوم على الكتاب المقدس، وأنكرت معجزاته، امتدت نفس هذه المعتقدات، إلى كل المذاهب الرئيسية تقريباً. فمزال هناك عدد كبير من الرعاة المتحررين "Liberal" أو العصريين، الذين يؤمنون بنفس هذا الأسلوب.

وأحد أكثر الضلالات خطورة، ظهرت في بداية القرن الرابع، بقيادة القس أريوس السكندري. فلقد أكد أن الله اقنوم واحد أزلي، خلق على صورته أسمى مخلوقاته: "الذي هو ابنه الوحيد"، قبل أن يعمل أي شيء، وبهذا فإن أريوس يؤمن بأن ألوهية الابن ثانوية، وأنه ليس ابناً أزلياً لله، وأنه ليس هو الله بنفس المعنى الذي للآب. وبواسطة الابن، عمل الله كل الأشياء. والابن هو الذي أصبح فيما بعد إنساناً، في شخص يسوع الناصري. وكان الروح القدس، هو أعظم وأول المخلوقات، التي خلقت بواسطة ابن الله، وهو بدوره أقل من الابن من حيث الإلوهية.

انقضى زمن طويل، بدا وكأن تعاليم أريوس هذه ستهزم الكنيسة في كل العالم، غير أن أثناسيوس وحده، وقف ضد أريوس، محتكماً إلى كل من تمسكوا بتعاليم الحق الكتابي، وإيمان المسيحيين الأوائل. ومن رحمة الله، انتصر الحق الكتابي. يجب ملاحظة، أن بدعة أريوس هذه لم تمت تماماً، فقد عاودت ظهورها من وقت إلى آخر، على مر العصور والتاريخ. إن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم "شهود يهوه"، ما هم إلا شكل جديد لبدعة أريوس، لكنهم بخلاف أريوس، فهم لا يؤمنون بألوهية اقنوم الروح القدس، بأي شكل من الأشكال؛ لذا يجب علينا أن نحترس دائماً لأنفسنا، من هذه الضلالات التي مازالوا، هم وغيرهم يحاولون نشرها.

ولم يكن لأريوس أن يحظى بمثل هذا التأثير، لولا ظهور اوريجين "Origen" (185 – 255م)، الذي مهّد الطريق لبدعة أريوس عن غير قصد، وذلك عن طريق أحد آرائه، الذي لاقى قبولاً عظيماً. فقد اعتقد بأن الابن كائن إلهي مجيد، لكنه ليس في مكانة الله الآب، وأن الروح القدس في مكانة أقل من الابن. بذلك فلقد زرع بذار الاعتقاد، بأنه يوجد رتب أو درجات في اللاهوت، مما ساعد أريوس، أن يخطو خطوة أخرى أبعد من ذلك. وقد عُرف هذا الاعتقاد فيما بعد باسم: "نصف الأريوسية Semiarrianism". وقد دُفع بهذه العقيدة بقوة في مجمع نيقية، بواسطة أسابيوس من قيصرية وأسابيوس النيقوميدي. لقد اتفق بعض أتباع نصف الأريوسية مع أريوس، على الاعتقاد بأن الروح القدس، هو أول مخلوقات الابن، ولكن الأغلبية اعتقدت بأنه مجرد قوة أو تأثير إلهي.

إن الخطأ الذي وقع فيه اوريجين، يرجع غالباً إلى تعاليم "ترتليان" (حوالي 160-240م)، وبالرغم من انه استخدم مصطلح "الثالوث"، إلا أن تعاليمه لم تكن تخلو من الانطباع بان الابن، له مكانة إلهية أقل من الأب. إن الخطأ الذي وقع فيه، أقل بكثير إذا ما قورن بأخطاء الذين تبعوه، ولكنه يظهر لنا أهمية أن نكون محددين فيما نقول، في موضوع "الثالوث". إن خطأه والأخطاء الأخرى المذكورة في هذا الفصل، يمكن تفاديها، إذا ما تذكرنا الحق الذي تحدثنا عنه، في الفصول الثالث إلى الخامس، والسابع والثامن من هذا الكتاب، وتمسكنا به. لنتذكر أيضاً الحق الموجود في (كو: 9 ، أع 5 : 3 - 4).

3- الانتحالية Modalism :

ويقصد بها الفشل في الاعتقاد، بأن الثلاثة اقانيم في اللاهوت، كل منها متفرد بخصائص أقتومية. وحتى الأريوسيين، احتفظوا بفكرة وجود ثلاثة اقانيم في اللاهوت. لكن في بعض الأحيان، كان يظهر من يضحون بهذه الفكرة تماماً. فإنهم متمسكون جداً بالإيمان بأن الله إله واحد، لدرجة أدت إلى ضلالة رفضهم لقبول فكرة وجود ثلاثة اقانيم متفردة، كل منهم هو الله. فبحسب اعتقادهم، فإن الله اقنوم واحد، وهو مثل الممثل، الذي يلعب ثلاثة أدوار مختلفة. فهو يظهر ببراعة، كالأب والابن والروح القدس. وعندما يلعب أحد الأدوار، فهذا معناه غياب الاقنومين الآخرين. وبسبب الاعتقاد بأن الله يظهر فقط بحالات مختلفة، فقد سُمي هذا الاعتقاد باسم: "الانتحالية modalism".

ظهرت "الانتحالية" في عدة أشكال مختلفة. وأول ما ظهرت هذه العقيدة، ظهرت عن طريق "براكسياس Praxeas" من آسيا الصغرى، في بداية القرن الثالث. ولكن أشهر المؤيدين لهذه العقيدة، هو القس "سابليوس" من بتولمايس الذي عاش حتى حوالي منتصف القرن الثالث؛ ولهذا فإن هذه الضلالة يطلق عليها أحياناً "السابليوسية". لقد اعتقد أن الإله الواحد الأزلي، أخذ لقب الله الأب. وعندما خلق الكون، وحلّ بعد ذلك بيننا كإنسان، أخذ لقب الله الابن. والآن هو يعمل مباشرة داخل حياة الناس، فهو يحمل لقب الله الروح القدس. هذا التعليم معناه ان الله الأب هو الذي

تألم على الصليب. ولذلك فإن السابليوسيين يُعرفوا أحياناً باسم "الباترباشيونيين"، أي الذين يعلموا بأن الآب تألم.

ولقد جاءت هذه الضلالة إلى الوجود ثانية، مرات عديدة في القرون القليلة الماضية، خاصة في كتابات بعض الفلاسفة الأوروبيين، الذين اختبروا نوعاً من التأثير المسيحي. هذه الضلالة غير شائعة هذه الأيام، ولكنها مازالت موجودة. فعلى سبيل المثال، في محاولة شرح الثالوث للأخرين، نجد المسيحيين يشيرون إلى أن مركب الماء (H₂O) يمكن أن يظهر في صورة ثلج أو ماء أو بخار. ولكن هذا التشبيه ينحرف عن الحق الكتابي. فبداية، هذا التعليم لا يحوي ضمناً أن الله روح. ولكن الضلال الأخطر من ذلك، هو أن هذا التعليم يعطي الانطباع، بأن الثالوث ليس أكثر من أنه، نفس الإله، لكنه يظهر في أشكال مختلفة. ولقد أوضحنا مسبقاً، أنه لا يجب استخدام أي نوع من التشبيهات لوصف الثالوث. فنحن لا يجب أبداً أن نوجد له تشبيهات، وسأكون واضحاً في ذكر السبب.

أحياناً تظهر "السابليوسية" في صلاة شخص مسيحي، فعادة يبدأ في الصلاة إلى الله الآب، ثم بعد ذلك يشكره على موته على الصليب. فهو بذلك يقع في خطأ، أن ينسب للآب، ما يجب أن ينسبه للابن. ثم بعد ذلك نجده يشكر الآب على سكناه داخله، وهو ما يجب أن ننسبه فقط إلى الروح القدس. لكننا نشكر الله، لأنه لا يصغي إلى ما نتنطق به ألسنتنا، إنما ينظر إلى قلوبنا. كما أن شفاعة المسيح، تضمن لنا وصول صلواتنا إلى السماء، بغير أخطاء. لكن الخطر يكمن أن تكون لدينا أفكار خاطئة عن الله. وإذا كانت هذه الصلوات علنية أمام جمهور، فمن المحتمل أن تضر هؤلاء السامعين. إن الطريق لمقاومة "السابليوسية"، هو أن نتذكر ونؤمن، بالحقائق التي جاءت في الفصل السادس والعاشر من هذا الكتاب، وأن نتذكر بصفة خاصة، قصة معمودية الرب يسوع المسيح، التي جاءت في (مت: 3: 13 - 17)، حينما ظهرت وتجلت أقانيم اللاهوت الثلاثة معاً وفي نفس الوقت.

الثالوث حق يجب أن نحيا به

والآن، وبعد أن أصبحت عقيدة الثالوث، حقًا واضحًا داخل أذهاننا، ماذا سنفعل بها؟ هل سنحتفظ بها في أذهاننا فقط، ونكتفي بأن تفكيرنا قد اتسع قليلاً؟ أم أن المقصود منها، أن تحدث تغييراً عملياً في حياتنا؟ الإجابة هي (لا) للسؤال الأول و(نعم) للسؤال الأخير. فكل عقيدة في كلمة الله، يجب أن يكون لها تطبيقات عملية في حياتنا. كل حق كتابي، يجب أن يحقق نفسه في السلوك العملي.

حق يجب أن نؤمن به :

بداية، يجب التأكيد، على أن هذه العقيدة، هي أساساً أمر يجب الإيمان به. إن الإله الحقيقي الوحيد، هو الله، الذي أعلن لنا عن نفسه في الكتاب المقدس. وهذه العقيدة قد أعلنها لنا الله. فإذا آمننا بشيء مختلف، فنحن لا نؤمن بالإله الحقيقي، وحينئذ سنكون وثنيين، نعبد إلهاً من نسج خيالنا. إن الذين يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة، والأريوسيين والموداليين (الموداليين هم الذين يؤمنون بأن الله أقنوم واحد في أطوار ثلاثة)، لا يختلفون كثيراً عن "الأرواحيين" (1)؛ فهم جميعاً لا يعبدون الإله الذي أعلن عن نفسه. انهم يعبدون إلهاً ليس له وجود. فلا يجوز أن يُعتبروا مؤمنين مسيحيين، بل هم ضالون وهالكون في خطاياهم.

إن الإيمان بالثالوث، هو أساس الخلاص. ولكن هذا ليس معناه، أن المؤمن يجب أن يفهم كل التعقيدات المتعلقة بهذه العقيدة، بالطريقة التي نوقشت بها عبر القرون، بل يجب أن يؤمن، بأن الإله الحقيقي، هو الإله الذي أعلنت عنه الكتب المقدسة، وأنه إله واحد في ثلاثة أقانيم. إن الكتاب المقدس أعلن أن الحياة الأبدية هي، أن نعرف الإله الحقيقي، ويسوع المسيح الذي أرسله الآب (يو 17: 13). ويصرّ الكتاب المقدس، على أنه إذا لم نكرم الابن، إكرامنا للآب؛ فإننا نسلب الآب كرامته (يو 5: 23). إن أولئك الذين يؤمنون بالله، يجب أن يكون لهم نفس الإيمان بآبنا (يو 14: 1)، فلا يوجد خلاص، لأولئك الذين تقدّرهم للمسيح، أدنى من تقدّرهم للآب (1يو 2: 22 – 23، 5: 20).

(1) الذين يؤمنون بحيوية المادة، أي أن لكل ما في الكون وحتى للكون ذاته، روحاً ونفساً

لذلك فإنه يتعين على الذين اصبحوا تلاميذ مسيحيين، أن يُعمّدوا باسم الآب والابن والروح القدس (مت 28: 19). فحيث لا يوجد إيمان بالثالوث، لا يمكن أن توجد تلمذة مسيحية، وحيث توجد تلمذة حقيقية، يوجد أيضاً تعهد بعقيدة الثالوث.

حق يجب أن نحبه :

إن عقيدة الثالوث، هي الأساس الذي تستقر عليه كل العقائد المميّزة لبشارة الإنجيل. وحينما يكون الأساس ثابتاً ومتيناً، يبقى الإنجيل سليماً. والتاريخ نفسه يشهد، أنه حينما يضعف الأساس أو يتلاشى، فإن بشارة الإنجيل سريعاً ما تتهاوى وتختفي. لذلك فكل من يحبّون الإنجيل، ويعرفون قوته، يحبّون عقيدة الثالوث، ويتوقون لتأييدها. إنهم يعرفون أن إنجيلهم، هو إنجيل الله. فإذا نسوا من هو الله، سينسوا ما هو إنجيله.

إن الإنجيل يعلن، أن الله الآب يخلص، والله الابن يخلص، والله الروح القدس يخلص. إن الله الآب يخلص، لأنه منذ الأزل اختار أناساً، ليقبلوا الحياة الأبدية في المسيح (يو: 10: 28 - 30)، وأخيراً أرسل ابنه للعالم، ليخلصهم (يو: 3: 16 ، 1 يو: 4: 14). والله الابن يخلص؛ لأنه هو الذي تحمّل - وحده على الصليب - عقاب شعبه (1بط: 2: 24)، وهو حي في كل حين، ليضمن قبولهم في السماء (عب: 7: 25). والله الروح القدس يخلص أيضاً، لأنه لا يقدر أحد أن ينال الحياة الروحية، ويؤمن بالمسيح، ويتكل عليه، ما لم يعمل هو في عقله وإرادته (1كو: 12: 3، 2: 14، يو: 3: 5 - 8). إن الكتاب المقدس يعلن باستمرار، أن الخلاص هو عمل الإله الواحد، المثلث الأقانيم

(1بط: 2)؛ لذلك فحينما تفقد عقيدة الثالوث، أو تصبح مُبهمّة، فإن الأمر نفسه يحدث بالنسبة للحق المكتوب عن الخلاص.

فكر في الحق المتعلق بالتبرير والتبني، فالإله الغاضب منا بسبب خطايانا، نجده يرسل الله الابن، الذي حُبِلَ به بالروح القدس، واتخذ طبيعة بشرية بلا خطية؛ ليتمم مطالب ناموس الله نيابة عنا. إن المسيح الذي بلا خطية، مات بدلاً عنا، متحملاً الدينونة المستحقة عن خطايانا، والتي تتطلبها عدالة الله. والروح القدس، هو الذي يجعلنا نحزن على خطايانا، ويبعدنا عنها. إنه يجعلنا نتكل على ما عمله المسيح، لأجل الخطاة.

إنه يجعلنا نتحد بالمسيح، فتحسب لنا كمالاته، ويُحسب لنا موت المسيح، على أنه استيفاء عقاب خطايانا. لذلك فإن الله الأب، يقبلنا كأبنائه، ويصبح هو أباً لنا. ويرتبط الرب يسوع بنا، كأخ أكبر في عائلة الله. والروح القدس في داخلنا، يؤكد لنا دائماً، أننا أبناء الله. فكل اقنوم من الأقانيم الثلاثة له دوره.

لذلك يجب أن يكون جلياً لنا، أنه بدون عقيدة الثالوث، فإن خطة الفداء تتهاوى إلى أشلاء، وعقيدة التبرير والتبني، ستبدو وكأنها بلا معنى. والأمر نفسه، يمكن أن يقال عن أي عقيدة كتابية أخرى. فنحن نحب عقيدة الثالوث، لأنها هي الأساس، الذي يستند عليه خلاصنا. إن الإله المثلث الأقانيم، هو الذي خلّصنا، والإله المثلث الأقانيم، هو الإله الذي نحبه ونعبده. فلا يمكن أن نحبه، دون أن نحب الحق المتعلق به.

حق يجب ان نحيا به :

دعني أهمس لك بكلمات شخصية جداً، في ختام هذا الكتاب. لا يوجد خلاص، بدون الإيمان بالثالوث. ولكن هذا لا يعني، أن كل مؤمن بالثالوث يصبح مخلصاً. فالإيمان بحق عن الله ليس كافياً للخلاص. لا يكفي أيضاً أن ندرك، أنه بدون عقيدة الثالوث، نكون بلا إنجيل، بل يجب أن نفترب إليه كالإله المثلث الأقانيم. إن خطايانا تشتكي علينا بعقاب أبدي، والله يأمرنا أن نتوب عنها (أع17: 30). ولا يجب أن نظن، أنه بمجهوداتنا نستطيع أن نتصالح مع الله (رو3: 20)، فكيف يمكن أن نكون صالحين، في نظر الله القدوس؟ لكن الله الأب أرسل ابنه، ليكون هو مخلص العالم (1يو4: 14).

إنه يخلص الخطاة (1 تي: 1: 15)، فهو يدعوهم إليه في حرية تامة (مت: 11: 28 - 30). فكل من يأتي إليه بتوبة حقيقية، ويصرخ قائلاً: "اللهم ارحمني أنا الخاطيء"، يقبله، وتغفر له خطاياه (لو: 18: 9 - 14)، ويدخل إلى الحياة الأبدية، ويتمتع بكل بركة روحية في السماويات (1 يو: 5: 11 - 12، اف: 1: 3). إنه لن يُخرج أحداً خارجاً (يو: 6: 37). وحقيقة مجيئك إليه، تثبت أنك أحد هؤلاء الذين أعطاهم الأب لابن (يو: 6: 37). وحقيقة قبولك للمخلص، وعدم رفضك له، تظهر أن الروح القدس يعمل في حياتك (1 كو: 2: 14). فلم تعد حقيقة الثالوث مجرد عقيدة، نحفظ بها في أذهاننا. إنها حق يجب أن نحيا به.

إن عقيدة الثالوث، يجب أن تقود المؤمن المسيحي إلى العبادة. نحن نعبد الله، من أجل كل ما عمله. نعبد الله، لأجل كل ما صنعه لأجلنا. لكنه فعل ما فعله، لأنه هو هكذا. وإذا ما استخدمنا المصطلحات المعقدة، الموجودة في الفصل التاسع انه "منظومة الثالوث لأنه الواجب الوجود"، فلم يكن من الممكن أن نراه في مجده وجلاله، ما لم يعلن لنا هو عن ذلك. فكل ما أخبرنا به، هو أعجب من أن نفهمه، انه فوق مستوى عقولنا. لم يكن من الممكن أن نكتشفه نحن، ولا يمكننا أن نفسره. انه يتخطى فهمنا تماماً. إننا لا نستطيع أن نسبر غور السرِّ. فنحن لسنا سوى مخلوقات، ولكنه هو الله. فلا يسعنا إلا أن ننطح أمامه وibatضاع نؤمن به ونعبده. فهناك نظام في اللاهوت ولكن لا توجد رتب. لذلك فنحن نعبد الله الأب، ونعبد الله الابن، ونعبد الله الروح القدس. وكما صرخ السرافيم، أمام عرشه قائلين: "قدوس. قدوس. قدوس" لأنه ثالوث، فإننا نصرخ أيضاً قائلين: "قدوس، قدوس، قدوس، رب الجنود"، لأنه هو واحد (اش: 6: 3)، "لأن الله هذا، هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت" (مز: 48: 14).

إن عقيدة الثالوث، يجب أن تساعد المسيحي على تنظيم صلاته. فالله الأب هو الأقتنوم الأول، لذلك يجب أن توجه صلاتنا إليه، وهذا هو ما أمر به الرب يسوع، حينما قال: "متى صليتم فقولوا أبانا...". (لو: 11: 2). وهكذا صلى التلاميذ. وحينما تحدث بولس الرسول عن صلاته، كتب يقول: "بسبب هذا احني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح" (أف: 3: 14). وحينما سبَّح كل من بولس وبطرس قالوا: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح" (أف: 1: 3، بط: 1: 3). ولا يذكر العهد الجديد، سوى القليل عن الصلوات، التي

وجهت للرب يسوع المسيح. ولم يذكر أحداً على الإطلاق صلى مكرراً، يا يسوع يا يسوع... الأمر الذي أصبح شائعاً في بعض الجماعات.

الابن هو الأبنوم الثاني، وهو الذي يعلن الآب (يو: 1: 18). فلا يمكن أن يأتي أحد مباشرة إلى الآب؛ لأن الاقتراب إليه، يكون عن طريق يسوع المسيح (يو: 14: 6، 1 تي: 2: 5). وهذا ليس معناه أننا لا يجب أن نصلي إلى الآب، بالعكس فقد عرفنا أننا يجب أن نصلي للآب. ولكن هذا معناه أننا في ذاتنا ومن ذواتنا، ليس لنا الحق أن نقرب من الله. أننا نأتي أمامه معتمدين على الابن، في ذاته وعلى ما فعله لأجلنا. على هذا الأساس وحده، نتوقع من الآب أن يسمعنا (عب: 10: 19 – 22).

إن الاقتراب إلى الآب، عن طريق المسيح أعظم جداً من مجرد ترديد عبارة: "بالمسيح يسوع ربنا"، في ختام صلواتنا. إنه يعني، أننا كل تقننا في إصغاء الآب لنا، يتوقف على ابن الله.

والروح القدس هو الأبنوم الثالث، وبدونه لا نستطيع أن نصلي، ولكن فقط نردد صلوات. ونحن عادة نأتي إلى الله، بأناات وأشواق، لا نعرف كيف نعبر عنها. فنحن لا نعرف ماذا نقول، أو كيف سنقله، لكن قلوبنا هي التي تصلي (رو: 8: 26 – 27). وعندما نرتبط بالمسيح، فذلك هو عمل الروح القدس (يو: 15: 26 – 27، 16: 14). إن الصلوات القلبية المخلصة، التي تركز على شخص المسيح، هي "الصلاة في الروح القدس" (يه: 20). وإذا لم تكن نصلي بهذه الطريقة، فعلينا أن نستمر في الصلاة، طالبين عمل الروح القدس، حتى تصبح صلواتنا في الروح القدس. (لو: 11: 13).

وفي ختام حديثنا هذا، يجب أن نقول إن عقيدة الثالوث، يجب أن تجعلنا نشعر بوقار جديد تجاه الكتاب المقدس. ففي ضوء المنطق البشري، من المحال أن نكتشف أن الله، واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد. إن الطبيعة لا تستطيع أن تعلن ذلك. فأين وأين فقط أعلن عن هذا السر العظيم؟ في أسفار الكتاب المقدس. وكيف كتبت أسفار الكتاب المقدس؟ "تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (2 بط: 1: 21). وما هو الموضوع الرئيسي لأسفار الكتاب المقدس؟ يقول الرب يسوع: "هي التي تشهد لي"

(يو: 5: 39). وكيف يمكن أن نصف كلمة الله بدقة؟ يمكن أن نصفها بأنها "كل كلمة تخرج من فم الله" (مت: 4: 4). إن أول وأعظم سرّ، أعلن عنه في الكتاب المقدس، المعطي من الله، والذي يركز على شخص المسيح، والذي أوحى به من الروح القدس. إن هذا الكتاب، يعلمنا عن كل ما يجب أن نؤمن به، بخصوص الله. إنه أيضاً يعلمنا عن واجباتنا تجاه الله. انه كلمة الله المثلث الأقانيم. فدعونا نقبله كما هو، لا كأنه كلمة إنسان، بل هو كلمة الله. دعونا نقرأه أكثر من ذي قبل، بعناية أكثر وبصلاة أكثر. دعونا نحيا به. فهل توجد طريق أخرى، نرضي بها الله الذي أعلن لنا في صفحاته؟ فالمجد للآب والابن والروح القدس، من الأزل والآن وإلى الأبد. آمين.